



١٦

هجوم المرتزقة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ مهمة إنسانية ..

على مدى قرون طويلة ، ظلت العلاقات الطيبة تربط بين الدولتين الإفريقيتين المتجاورتين (جوانجا ، وكونارى) اللتين تقعان فى جنوب غرب إفريقيا .

وإلى وقت قريب كانت الدولتان لم تزل تربطهما علاقات وطيدة : من حسن الجوار وكثير من المصالح والصلات المشتركة فى النواحى التجارية والاقتصادية .

غير أنه لم تلبث أن تبدَّلت الأمور ، لتبدأ شرارة الحرب فى الاندلاع بينهما ، إثر قيام مجموعة من القوات العسكرية لدولة (كونارى) بالإغارة على إحدى قرى (جوانجا) الواقعة على الحدود ، فأبادتها عن آخرها بدون ما سبب واضح ، أو مفهوم ..

ومنذ ذاك اليوم والقتال لا يهدأ بين الدولتين المتجاورتين برغم الجهود الجبارة التى بذلتها منظمة

الوحدة الإفريقية ، وبعض الدول الإفريقية وعلى رأسها مصر ، لتخفيف حدة النزاع بين الدولتين ، وإعادة السلام بينهما .

ولكن كل هذه المحاولات لم تسفر إلا عن عقد بضع اتفاقيات لهدنات مؤقتة ، كان يتم خرقها باستمرار ؛ ليعود القتال فيندلع بينهما أشد من ذى قبل ، وبصورة أكثر ضراوة .

وقد أوفدت مصر عددًا من البعثات الطبية إلى الدولتين لعلاج الجرحى والمصابين من المدنيين هناك .

وكانت آخر هذه البعثات تلك البعثة الطبية التى رأسها الدكتور (عامر) رئيس قسم الجراحة بمستشفى عين شمس بالقاهرة ؛ الذى أُوفِد معه فيها عدد من الأطباء ، ومجموعة كاملة من المعدات والتجهيزات الطبية إلى دولة (جوانجا) الإفريقية ، إسهامًا منها فى مدّ يد العون للأهالى من الجرحى والمصابين بمنطقة الحدود .

وبرغم ما كان يكتنف هذه المهمة من مخاطر

عديدة ، إلا أن الشعور بالواجب الإنسانى ، والحرص على المشاركة فى تخفيف آلام ومعاناة البشر ، الذين طحنتهم آلة الحرب والدمار .. كان هذا هو الدافع الأول وراء تطوُّع تلك المجموعة من الأطباء المصريين ، للوقوف إلى جوار إخوتهم فى الإنسانية .

وعندما تلقى المركز الطبِّى الإفريقى بعاصمة (جوانجا) أنباء عن تعرُّض عدد من القرى الواقعة على الحدود لهجوم عسكرى خاطف من جانب قوات (كونارى) ، أسفر عن العديد من القتلى والجرحى — كان الطبيب المصرى الدكتور (عامر) هو أول من بادر بالتطوُّع للذهاب إلى هناك لعلاج الجرحى ، ومعه اثنان من زملائه ؛ فقد كان الباقون يشرفون على علاج عدد من الحالات الأخرى .

وعلى أثر ذلك توجَّهت سيارة طبِّية مجهزة إلى المنطقة التى تعرَّضت للاعتداء ، وبها ثلاثة من الأطباء المصريين يرأسهم الدكتور (عامر) ، ومعهم طبيب وطنى من



فوجئ الدكتور (عامر) بأحد الأشخاص المصابين يعترض طريق السيارة ، وهو يلوّح للسائق ..

(جوانجا) وممرضتان ومرشد ، بالإضافة إلى سائق السيارة .

وفى أثناء الطريق ظهر بوضوح مدى الغضب الذى كان يعتمل فى جوانح الطبيب (الجوانجى) بسبب هذا الاعتداء ، فقد قال للطبيب المصرى غاضبًا ، والسيارة تقتحم بهم الأحراش الكثيفة :

ــ هؤلاء القتلة السفاحون .. قاموا باعتدائهم الإجرامى ، بالرغم من اتفاقية الهدنة التى وقعناها ولم يمض على توقيعها غير أسبوع واحد .

واستطاع الدكتور (عامر) أن يلحظ من نافذة السيارة تحرُّكات عسكرية كثيفة من جانب القوات (الجوانجية) تتحرّك فى طريقها إلى الحدود الشمالية ردًّا على الاعتداء الأخير .

وعندما وصلت السيارة الطبية إلى المنطقة السهلية القريبة من الحدود ، فى طريقها إلى قرية (شادومبا) ، فوجئ الدكتور (عامر) بأحد الأشخاص المصابين

يعترض طريق السيارة ، وهو يلوّح للسائق بكلتا يديه ، والدماء تنزف منه بغزارة ، وقد لطّخت ثيابه العسكرية .. ثم لم يلبث أن سقط على الأرض فاقد الوعى .

وأشار الطبيب المصرى إلى سائق سيارته بالوقوف ، وأسرع يهبط منها ومعه أفراد البعثة ، متَّجهين نحو الرجل المصاب .

وعندما اقترب الطبيب المصرى من الرجل المصاب وبدأ يفحصه ، تبيَّن له أن إصابته جسيمة ، فقد كانت هناك ثلاث رصاصات على الأقل قد اخترقت كتفه وساقه .

وأمر الدكتور (عامر) بسرعة نقله إلى السيارة لعلاجه ، ولكن الطبيب (الجوانجى) اعترض قائلاً :

ــ لن ننقل هذا الرجل إلى السيارة ، فقد جئنا من أجل علاج الوطنيين (الجوانجيين) ، وهذا الرجل هو أحد جنود القوات (الكونارية) .

ولكن الطبيب المصرى نهره فى شدة وحدَّةٍ قائلاً :

ــ إننا الآن لسنا بصدد الجنسية التى ينتمى إليها هذا الرجل ، فسواء كان من (كونارى) أو من (جوانجا) ، فهو فى نظرى ليس أكثر من رجل مصاب بجراح بالغة ، وواجبى يحتِّم علىَّ علاجه ، لا أن أدعه ملقى على الطريق ليواجه الموت .

الطبيب (الجوانجى) :

ــ حسنًا .. لنتجاهل أننا قد رأيناه .

الدكتور (عامر) :

ــ كيف تقول هذا الكلام ، وأنت تدرك تمامًا أن مهنتك إنسانية قبل كل شىء ، بل قبل أن تكون مرتبطة بمشاعر وطنية ؟ .. إذا كان ضميرك يسمح لك بتجاهل هذا الرجل فأنت حرّ ، أما أنا فضميرى لا يسمح لى بتجاهل إنسان يتعرَّض للموت ، وفى وسعى أن أسهم فى إنقاذه مهما كانت هُويَّته .

وأطرق الطبيب الوطنى خجلاً ، وهو يقول :

ــ معذرة .. لقد كنت مخطئًا حينما غلبت مشاعرى

الوطنية على واجبى الإنسانى .. سأشارك معك فى علاج الرجل .

الدكتور (عامر) :

ـ دعونا لا نضيّع الوقت ، وهيّا ننقله إلى السيارة .

وشارك الجميع فى نقل المصاب إلى السيارة الطبية ، حيث تولّى الأطباء علاجه فى أثناء تحرُّك السيارة .

وعندما نزع الدكتور (عامر) عن الرجل سترته العسكرية ، ليقوم باستخراج الرصاصات من كتفه ، استرعت انتباهه مجموعة من الأوراق الخاصة بالرجل فى جيب داخلى بالسترة ، ولكنه نحاها جانبًا دون اكتراث .. فلم يكن ليهتم بالأوراق فى هذه اللحظات .

بذل الأطباء جهودًا جبارة لإنقاذ الرجل .. غير أن جهودهم ذهبت أدراج الرياح ، بعد أن أدَّت الرصاصات الثلاث إلى تسمُّم جسد الرجل .

وبعد ساعة كاملة من المجهود الشاق فارق الرجل الحياة ، ولم تعد تجدى معه أية محاولات أخرى .

جلس الأطباء داخل الصندوق الداخلى للسيارة الطبية ، وهم يجففون عرقهم على أثر المجهود الشاق الذى بذلوه ، فيما جلس المرشد إلى جوار السائق ، واستأنف الجميع سيرهم إلى قرية (شادومبا) .

وبينما كان الطبيب (الجوانجى) ممدَّدًا داخل السيارة ، وقع بصره على الأوراق الخاصة بالرجل العسكرى ، فأمسك بها وأخذ يفحصها دون مبالاة .

وفجأة قفز الرجل من مكانه ، وقد بدت عليه ملامح الدهشة .. قائلاً :

ـ غير معقول !!

قال له الدكتور (عامر) متعجِّبًا :

ـ ما الذى يدهشك على هذا النحو ؟

الطبيب (الجوانجى) :

ـ انظر إلى هذه الأوراق يا سيِّدى

اقترب منه الطبيب المصرى ليتصفَّح الأوراق ، ثم لم يلبث أن بدت عليه الدهشة بدوره قائلاً :

ـ هذا يفسِّر الكثير من الأمور التى تحدث هنا .. لا بدّ من الحفاظ على هذه الأوراق الهامّة حتى نعود إلى العاصمة ، فربما تكون فى هذه الأوراق نهاية لتلك الحرب الطاحنة .

ولكن بعد مسافة قصيرة للسيارة ، شعر الجميع بتوقفها فجأة .

وفتح الطبيب (الجوانجى) باب السيارة ليسأل عن سبب هذا التوقف المفاجئ ، فإذا سائق السيارة واقف أمامه ، وعلى وجهه أمارات الرعب والفزع .. والمرشد الذى كان يصطحب البعثة ملقى على الأرض ، وقد اخترق جسده خنجر حاد .

وقبل أن يسأل الباقون عما حدث كانت يد غليظة تجذب الطبيب (الجوانجى) من داخل السيارة لتلقيه على الأرض بعنف .. فى حين فوجئ الدكتور (عامر) ومعه باقى أفراد البعثة بعشرات من الرجال المسلحين ، يحيطون بالسيارة وهم يشهرون أسلحتهم ، ويأمرون الجميع بالهبوط .

٢ ـ صراع فى القارة السوداء ..

جلس (ممدوح) يتناول طعامه فى أحد المطاعم الفاخرة المطلّة على أهرامات مصر الخالدة .

كان (ممدوح) يتردّد دائمًا على هذا المطعم .. فهو يعشق هذا المكان بجوِّه الفرعونى الممتلئ بعبير الماضى ، والذى يطل على آثار الأجداد وأمجادهم .. وذلك بالإضافة إلى تلك الأطعمة الشهية التى تخصص هذا المطعم فى تقديمها .

ولكنه لم يكد يوضع أمامه طعامه المفضل ، ويهم بتناوله بشهية ممتازة ، حتى فوجئ بساعته الإلكترونية تصدر أزيزًا خافتًا ، وقد أخذت الدائرة الفوسفورية الصغيرة داخل غلاف الساعة تبعث بإشارات حمراء متقطِّعة .

كانت هذه الإشارة غير الملحوظة للآخرين ، والتى

يميزها (ممدوح) جيدًا ، تعنى أن الإدارة تستدعيه للحضور على وجه السرعة .

فمنذ أن قام قسم الإلكترونيات بالإدارة بتوزيع هذه الساعات على ضباطها ، وهو يتلقَّى هذه الإشارات بصورة تكاد تكون دائمة ومتكرِّرة ، وفى أى ساعة من ساعات الليل أو النهار .

ويا ليت هذه الاستدعاءات المتكرِّرة تكون فى معظمها لأمور هامة أو عاجلة ؛ ولكنها فى الغالب تكون من أجل تصريف بعض الأعمال الروتينية العاديَّة ، التى يمكن أن تنتظر بعض الوقت .. مثل تسلُّم ملف .. أو إرسال تقرير .. أو إعداد برنامج تدريبى .

لذا فقد كان (ممدوح) مصممًا هذه المرة ، على عدم الاستجابة الفورية لإشارة الاستدعاء هذه إلا بعد الانتهاء من تناول طعامه بأكمله ، ولكن تكرار الإشارة على هذا النحو المستمر ، وبصورة غير معتادة جعله يعدل عن موقفه .

قال لنفسه :

ـــ لا بدّ أن الأمر هام هذه المرة ما داموا يلحُّون فى استدعائى على هذا النحو .

واستدعى (ممدوح) (الجارسون) لينقده الحساب ، وهو يسرع بمغادرة المطعم ، ليستقل سيارته إلى إدارة العمليات الخاصة ..

دخل (ممدوح) إلى غرفة الرائد (رفعت) ، حيث وجده منهمكًا فى مراجعة بعض الأوراق المكدَّسة فوق مكتبه ، وهو يتناول بعض الشطائر الخفيفة .

قال له مداعبًا :

ـــ احتفظ لى ببعض الشطائر .. فقد أفسدتم علىّ غذائى بهذا الاستدعاء المتكرِّر .. وأتعشَّم ألا يكون الأمر فى النهاية مجرد إعداد بعض التقارير أو الملفات .

فابتسم (رفعت) قائلاً :

ـــ بل أعتقد أن الأمر أكثر أهمية هذه المرة .. فقد قدم اللواء (مراد) منذ ساعة من اجتماع هام مع الوزير

فى وزارة الداخلية .. وقد أرسل إلى الإدارة يطلب استدعاءك قبل حضوره مشدّدًا على أهمية الأمر .. وهذا يعنى أن هناك مهمة جديدة فى انتظارك .

ممدوح :

ــ أرجو أن يكون استنتاجك صحيحًا ؛ فأنا بحاجة لاستعادة لياقتى المفقودة ، التى كادت تفسدها تلك الأعمال المكتبية .. والجلوس أمام المكتب بالساعات .

ودخل (ممدوح) إلى حجرة مدير الإدارة مؤدّيًا له التحية باحترام .. ولم يكد اللواء (مراد) يراه ، حتى طلب منه ــ دون مقدمات ــ أن يجلس ، وهو يبسط أمامه مجموعة من الأوراق والخرائط .. وأمسك اللواء (مراد) بعصا رفيعة من ذلك النوع الذى يستخدمه القادة للشرح .. وهو يشير بها إلى أحد المواقع فى خريطة مجسَّمة لقارة إفريقيا قائلاً :

ــ قطعًا تعرف أن هناك معارك لا تنقطع منذ عدة سنوات بين دولتى (جوانجا) و (كونارى) الإفريقيتين .

ممدوح :

ــ نعم .. ولو أنى أجهل حتى الآن سرَّ هذه المعارك الدائمة بين الدولتين ، برغم ما كان يجمعهما فى الماضى من صلات وروابط وثيقة .

قال له اللواء (مراد) وهو يستند بالعصا إلى حرف مكتبه :

ــ لقد بذلت مصر مجهودات كثيرة فى إطار الدور الرائد الذى تضطلع به فى منظمة الوحدة الإفريقية ، وبالمشاركة مع الهيئات الدولية فى منظمة الأمم المتحدة ، لإنهاء هذا الصراع المسلح بين الدولتين ، وإعادة السلام إلى ربوع تلك المنطقة .. ولكن جميع المجهودات التى بذلت فى هذا الشأن سواء من جانبنا أو من جانب المجتمع الإفريقى والدولى باءت بالفشل .

فما أن تهدأ حدة الصراع قليلاً ، وتعقد اتفاقيات الهدنة بين الطرفين ، حتى يعود القتال ليتجدد بينهما من جديد .. ذلك القتال الذى يدفع الشعبان الإفريقيان

ثمنه من دماء أبنائهما ..

وعاد اللواء (مراد) ليجلس إلى مكتبه قائلاً :

ـــ قد يبدو لك أنه من الغريب أن أرسل فى استدعائك على وجه السرعة ؛ لأجرى معك حديثًا يدور حول مشكلة سياسية بين دولتين إفريقيتين .. ولكنك ستتبيَّن حالًا أننا قد أصبحنا طرفًا فى هذه اللعبة ، التى تدور فى الجنوب الغربى من القارة الإفريقية .

فمصر ـــ كما تعرف ـــ كانت فى مقدمة الدول التى تطوَّعت بإرسال بعثات طبية إلى المنطقة ، لعلاج الجرحى والمصابين هناك ، وذلك إيمانا منّا بأن علينا واجبًا تحتمه الإنسانية والانتماء الإفريقى ، ولا بد من تأديته تجاه شعوب القارة ، مهما كان رأينا فى هذه الحرب التى ندينها بالنسبة للطرفين .

وقد تعرَّضت بعثتنا الطبية فى (جوانجا) بالقرب من حدود (كونارى) لهجوم مسلح ، قامت به مجموعة من العسكريين ، إثر قيام أحد أطبائنا بمحاولة علاج جندى

جريح ، كان يرتدى الملابس العسكرية لقوات (كونارى) وقد أدَّى هذا الهجوم إلى مقتل طبيب ومرشد من (جوانجا) ، وإصابة طبيب مصرى آخر بجراح بالغة .

وقد قامت القوة المسلحة باختطاف باقى أفراد البعثة ، وهم ممرضتان من (جوانجا) والسائق وطبيبان مصريان ، أحدهما هو الجرّاح المصرى الشهير الدكتور (عامر عبد الكريم) ، واقتادوهم إلى جهة غير معلومة .

ممدوح :

ـــ وهل أفراد هذه القوة المسلحة من (كونارى) أو (جوانجا) ؟

اللواء (مراد) :

ـــ لقد اعتقدنا فى البداية أنهم جنود إحدى الدولتين ، ولكن الأهالى فى (جوانجا) أمكنهم إنقاذ الطبيب المصرى ، الذى ظن المسلحون أنه قتل ، ونقلوه

إلى إحدى مستشفيات العاصمة على وجه السرعة .

لقد وسعنا أن نكشف وقائع جديدة لم تكن معروفة بالنسبة لهذه الحرب .. فقد أدلى هذا الطبيب بمعلومات للسفير المصرى فى (جوانجا) ، وقعت عليها البعثة الطبية مصادفة ، على أثر علاجهم للجندى الجريح .

وبدا على (ممدوح) الجدِّية والاهتمام ، وهو ينصت إلى اللواء (مراد) الذى تابع حديثه قائلاً :

ـــ لقد تبيَّن لهم من خلال مجموعة الأوراق التى كان يحملها هذا الرجل ، أنه مرتزق من أصل كوبى[1] ، وأنه يعمل لحساب رجل ألمانى يدعى (هلموت ڤون) ضمن قوة من المرتزقة ، أرسلت إلى المنطقة للعمل على إثارة الاضطراب وتجديد النزاع بصورة دائمة بين الدولتين الإفريقيتين .

---

(١) المرتزق : هو شخص يتم تجنيده عسكريًا ، للعمل لحساب فرد أو منظمة أو دولة ، للقيام بمهام مختلفة عسكرية أو إرهابية ، لقاء أجر يتم الاتفاق عليه بين الطرفين .. كما أنه يعمل أحيانا فى صفوف القوات التى تعانى نقص الأفراد المسلحين ، وهو يعمل لقاء عقد لفترة محدودة .

ممدوح :

ـــ إن هذا يؤدى إلى العديد من الاستنتاجات المختلفة .

اللواء (مراد) :

ـــ قد تبدو لك هذه الاستنتاجات أكثر وضوحًا إلى حد ما ، إذا عرفت أن (هلموت ڤون) هذا هو أحد كبار سماسرة السلاح فى العالم ، وأنه مطلوب فى أكثر من دولة ، لدوْرِه الإجرامى فى العديد من الصراعات المسلحة .. لقد كوّن (ڤون) هذا ثروة طائلة من تجارة الموت التى يحترفها .

ممدوح :

ـــ ولماذا تقاعس البوليس الدولى (الإنتربول) عن القبض عليه طوال هذه المدة ؟

اللواء (مراد) :

ـــ إن هذا الرجل من الذكاء ، بحيث لا يترك وراءه أى دليل قد يدينه بشكل مباشر فى هذه التجارة

السوداء .. فهو — كما قلت لك — يقوم بدور الوسيط فى عقد صفقات السلاح لحساب تلك الدول والمؤسسات العسكرية ، التى لا تستطيع أن تتعامل بشكل مباشر ومكشوف فى توريد السلاح إلى جهات النزاع المختلفة ، وهو يقوم بذلك الدوْر مقابل عمولات هائلة .

ولكن إذا كان ما ذكره الطبيب المصرى مؤكدًا .. فإن ذلك المرتزق الذى عثرت عليه بعثتنا الطبية فى (جوانجا) ، سيصبح أول الخيط الذى يقود إلى الأدلة التى تدين هذا الرجل .. إننا حتى الآن لم نحاول أن نخبر الدولتين الإفريقيتين بما توافر لنا من معلومات ، كما طلبنا من الطبيب المصرى الاحتفاظ بما كشفت عنه بعثتنا سرًا .

وذلك أولاً : لأننا ما زلنا لا نمتلك الوثائق والأدلّة التى تؤكد هذه المعلومات .. وقد عرفت من الطبيب المصرى أن الدكتور (عامر) قد قام بإخفاء هذه الوثائق

فى أثناء الهجوم المسلّح الذى تعرّضت له البعثة من جانب رجال المرتزقة .

وثانيًا : لأننا لا ندرى ما إذا كانت إحدى الدولتين قد تورّطت بصورة أو بأخرى مع هذا الوسيط الإرهابى ، وبالتالى فقد تعمل على إعاقة جهودنا إذا ما قدمنا لها مثل هذه المعلومات .

إن مهمتك تنحصر فى الآتى :

— أولاً : البحث عن المكان الذى أسرت فيه قوات المرتزقة أفراد البعثة الطبية ، والعمل على إنقاذهم ، والعودة بهم إذا كانوا لا يزالون أحياء .

ثانيًا : الحصول على الوثائق والأدلة التى تؤكد تورُّط (هلموت فون) ورجاله من المرتزقة فى تلك الحرب ، التى تدور فى الجنوب الغربى من القارة .

إنك لو استطعت أن تنجح فى أداء هذه المهمة المزدوجة ، فهذا يعنى إنقاذ أطبائنا من الموت ،

والإسهام فى وضع نهاية لمأساة هذه الحرب التى تدور فى قارتنا .

والآن دعنا نتفق على التفاصيل .

* * *



٣ ــ معركة المقهى ..

لم يكن أحد ليصدّق ، أن ذلك الشاب الأسود ذا الملامح الزنجية هو نفسه المقدم (ممدوح) .

فقد قام خبراء التجميل فى الإدارة بتغيير ملامحه ، وحقنه بسائل خاص تحت الجلد مباشرة ؛ لإكسابه تلك البشرة السوداء .. وهو نوع من صبغة الجلد ، يستمر تأثيرها فى الجسم مدة شهر كامل ، وإن كان يمكن إعادة البشرة للونها الطبيعى خلال عشر دقائق بمجرد الحقن بسائل مضاد .

وفى مطار (لشبونة) عاصمة (البرتغال) .. كان هناك شخص يقف فى انتظار الطائرة القادمة من القاهرة ، التى كان المقدم (ممدوح) من بين ركابها .

ولم يكد (ممدوح) يخرج من باب المطار ، حتى وقف ذلك الشخص ، ليفتح له باب سيارة تقف فى الخارج قائلاً له :



ولم يكد (ممدوح) يخرج من باب المطار ، حتى وقف ذلك الشخص ، ليفتح له باب سيارة تقف فى الخارج ..

ــ هل تتفضل بركوب السيارة أيها الأوغندى الوسيم ؟

ونظر (ممدوح) وهو يبتسم إلى الرجل قائلاً :

ــ فى موعدك تمامًا يا (رفعت) .

وركب (ممدوح) السيارة وبجواره الرائد (رفعت) ، الذى تولى قيادتها قائلًا لـ (ممدوح) :

ــ لولا الصورة التى أرسلوها لى قبل وصولك ، ما كان من الممكن أن أتعرَّفك مطلقًا .

ممدوح :

ــ إذن فأنا أبدو زنجيًّا حقيقيًا ؟

رفعت :

ــ وكأنك قد ولدت فى الأدغال الإفريقية .

وعندما وصل (ممدوح) إلى الغرفة المحجوزة له فى الفندق البرتغالى ، سارع بإلقاء معطفه فوق أقرب مقعد ، متخذًا لنفسه مقعدًا آخر ليجلس عليه قائلاً لـ (رفعت) :

ـ والآن فلنتحدث بجدِّيَّة .. ماذا أعددت لى فى البرتغال ؟

وجلس (رفعت) على المقعد المواجه لـ (ممدوح) وقال له :

ـ غدا سنذهب إلى مدينة (أوبورتو) على الساحل البرتغالى ، وفى مقهى صغير يدعى مقهى (خوزيه) ، يرتاده الأفاقون والمغامرون والذين هم على استعداد لبيع أنفسهم للشيطان مقابل الحصول على المال .. ستجد أحد عملاء (هلموت ڤون) يتردد دائمًا على ذلك المقهى ، باحثًا عن أفضل العناصر ، ليضمهم إلى المرتزقة الذين يتم إرسالهم إلى إفريقية .

ممدوح :

ـ إذن فالمطلوب منى أن أحاول إقناع ذلك العميل بأننى من العناصر الجيدة ، التى يمكن أن يتعاقد معها .

رفعت :

ـ نعم .. سيكون مطلوبًا منك القيام بأحد

عروضك القتالية ، التى تجعله يقتنع بأنك لن تكون بالنسبة له صفقة خاسرة .

ممدوح :

ـ سيلزمنى إذن أحد الأوغاد الذين يتردَّدون على المقهى ؛ لكى أستعرض مهارتى معهم .

وضحك (رفعت) قائلاً :

ـ ستكشف بنفسك أن قيام المشاجرات والمعارك التى تكاد تكون يومية فى هذا المكان أسهل بكثير من عقد الصداقات .

وقام (ممدوح) ليتمدَّد على سريره قائلاً لـ (رفعت) :

ـ حسنًا .. أغلق الباب وراءك ، ودعنى أحصل على قسط من النوم حتى أستعد لمعارك الغد .

* * *

فى مساء اليوم التالى ، وصل (ممدوح) بأحد القطارات إلى مدينة (أوبورتو) ، التى تقع على

الساحل البرتغالى .. وتذكَّر العنوان الذى قدمه له (رفعت) وهو يطلب من سائق التاكسى التوجُّه إلى مقهى (خوزيه) ، الذى يقع فى أطراف المدينة ..

كان المظهر العام للمقهى غير مريح ؛ فهو يبدو من ذلك النوع الوضيع الذى يرتاده البحّارة والأفّاقون ، للحصول على بعض الشراب الرخيص .

وأما من الداخل ، فقد كان جوُّ المقهى عابقًا بالدخان ، وقد انتشرت فيه نوعيات مختلفة من الوجوه الشرسة العابسة .

وانتحى (ممدوح) ركنا من أركان المقهى يرتشف بعض الشراب الذى أحضره له الساقى .. بعد أن ألقى نظرة سريعة إلى الركن المقابل له حيث كان الرائد (رفعت) منزويا فى ركن آخر من أركان المقهى .

وبعد نصف ساعة من جلوسه ، انفتح باب المقهى ، ودخل رجل طويل القامة ، تبدو عليه أمارات الأبهة والثراء ، بصورة تنافرت بشكل حاد مع

ضعة المكان وخسته .. وجلس فوق المقعد العالى ، أمام بار المشروبات بعد أن طلب كأسًا لنفسه وهو يتفحَّص الوجوه الماثلة .. وأشار (رفعت) بطرف عينه إلى (ممدوح) ، بما يعنى أنه الرجل المنشود ..

واستعد (ممدوح) لأداء دوره ؛ فقام من مكانه متجهًا نحو البار ، وقد تعمَّد أن يسقط حافظته الجلدية المنتفخة على الأرض ، بصورة بدت عفوية تمامًا ، وفى المكان الذى يلفت أنظار رجال ثلاثة كانوا يجلسون إلى المائدة المجاورة .

ولم يكد (ممدوح) يتحرَّك بضع خطوات إلى الأمام ، حتى قام أحد الرجال الثلاثة مقتربًا من الحافظة بهدوء ، ليلتقطها سريعًا من الأرض .. ثم يعود بها إلى زملائه الذين أطلّت نظرات الجشع من عيونهم ، وهم ينظرون إلى الأوراق المالية التى تكتظ بها الحافظة .

وقبل أن يقوم الرجل الضخم الجثة بتقسيم المبلغ بينه وبين زملائه ، سمع صوتًا يأتى من خلف قائلاً :

ـ أتسمح بأن تعيد لى حافظتى ؟

واستدار الرجل بمقعده ليجد (ممدوح) منتصبًا خلفه ، وهو يمدّ له يده مطالبًا بإعادة الحافظة .

قال له الرجل الضخم ضاحكًا :

ـ إنها لم تعد حافظتك أيها الزنجى .. إنها الآن حافظتنا نحن .. وكل من هنا شهود على ذلك ..

وظل (ممدوح) واقفًا فى مكانه ، ويده ممدودة نحو الرجل ، وقد انطلقت الضحكات حوله ، فى حين كانت هناك نظرة إصرار واضحة فى عينيه .

قال له (ممدوح) بكلمات واثقة :

ـ إن الحافظة بها أوراق ونقود خاصة بى ، فأرجو إعادتها لى بهدوء ، دون إثارة المشاكل .

وتبدّلت نظرات الرجل إلى الشراسة ، وقد أمسك بالحافظة فى يده قائلاً له بتحدٍّ :

ـ حسنًا .. حاول أن تستردّها إن استطعت .

وتراجع (ممدوح) بضع خطوات إلى الوراء ، ثم

قفز عاليًا فى اتجاه المائدة التى يجلس عليها الرجال الثلاثة ، ليسدِّد إحدى ضربات (الكاراتيه) العنيفة بقدمه إلى يد الرجل الممسكة بالحافظة ، فطارت فى الهواء ليلتقطها (ممدوح) بحركة بهلوانية بارعة .. وأعاد (ممدوح) الحافظة إلى جيبه ، قائلاً للرجال الثلاثة وهو ينحنى برأسه فى حركة مسرحية :

ـ أشكركم أيها السادة .. لقد أصبحنا الآن خالصين .

تطاير شرر الغضب من عينى الرجل الضخم ، فانتفض من مقعده وأزاحه بعيدًا بعنف ، وهو يقول لـ (ممدوح) وعيناه محمرتان من شدة الغضب :

ـ حسنًا أيها الزنجى .. إنك من هواة (الكاراتيه) ، وقد أوقعك حظك التعس مع محترف .

ثم أخذ يسدِّد ضربات قوية بيديه وقدميه إلى (ممدوح) ، الذى تفاداها بمهارة وبراعة خبير .

وفى أثناء نشوب هذا القتال بين الطرفين ، كانت

جموع الحاضرين قد التفوا حولهما ليشهدوا هذه المعركة المثيرة ..

وفى إحدى الضربات الخاطئة للرجل الضخم ، هوت يده فوق مسند أحد المقاعد فحطمه .

انحنى الرجل من فرط الألم وهو يمسك بيده ، على أثر تلك الضربة الساحقة ، فانتهز (ممدوح) الفرصة وأرسل قبضته القوية إلى فكّه .

وتعثّر الرجل وهو يتراجع إلى الخلف ، ليرتطم بمائدة حالت دون سقوطه .

وعاد الرجل ليتأهّب من جديد لضرب (ممدوح) ، وهو يثنى ساقيه ليركل (ممدوح) فى معدته .

ولكن (ممدوح) تجنّب الركلة ، واستطاع الإمساك بساقه ، ودفعه إلى الخلف ، ثم قفز إليه وضربه بحدّ كفه ضربة قوية فوق عنقه .

فترنح الرجل ، وتهاوى إلى الأرض بلا حراك .

وفى أثناء ذلك أسرع أحد زميلى الرجل ليمدّ يده إلى

جيبه ، ولكن (ممدوح) كان أسرع منه ، فركله بقوة فى ساعده .

واندفع زميلهم الثالث نحو (ممدوح) فى ثورة ، وقد أحنى رأسه ليسدّد بها ضربة قوية إلى أمعائه .

وتلقّى (ممدوح) الصدمة فى أمعائه ، وشعر بأنفاسه تكاد تختنق فى صدره ، وقد تراجع إلى الخلف .

واغتنم الرجل — الذى تلقّى الركلة فى ساعده — الفرصة ، فأمسك بإحدى الزجاجات ليحطّمها على أقرب مائدة .. وأمسك بالجزء الحاد المكسور منها متجهًا نحو (ممدوح) من الخلف ..

وعندما رأى (رفعت) ذلك ، أسرع يمدّ يده إلى جيبه يتحسّس مسدسه ، وقد تأهّب للتدخل فى اللحظة الحاسمة ، إذا ما تعرّض (ممدوح) إلى الخطر ، حتى لو أدّى ذلك إلى إفساد الخطة بأكملها ..

لكن (ممدوح) كان قد استطاع أن يستعيد توازنه ، بعد الضربة القوية التى تلقاها ، ولمح من خلال المرآة



فاستدار (ممدوح) سريعًا ليمسك بالرجل، مستلقيًا
بظهره على الأرض واضعًا قدمه فى بطن مهاجمه ..

المعلقة فوق الحائط المواجه ، صورة مهاجمه يهم بالانقضاض عليه بالزجاجة المكسورة من خلفه ..

فاستدار (ممدوح) سريعًا ليمسك بالرجل ، مستلقيًا بظهره على الأرض ، واضعًا قدمه فى بطن مهاجمه ، ليقذف به إلى الخلف ، فاصطدم بزميله الآخر ، الذى سقط تحت ثقل رفيقه ، وارتطمت رأسه بالمائدة .

وأسرع (ممدوح) بالتقاط الزجاجة المكسورة من الأرض ، ليلوِّح بها فى مواجهة الرجلين قائلاً :

ـــ استمعوا لى جيدًا .. لقد كنت جنديًا سابقًا بالقوات الخاصة الأوغندية ، وأعرف كيف أتعامل مع الأوغاد أمثالكم .. إذا أردتم الاستمرار فى هذه اللعبة معى ، فتأكدوا أنكم لن تخرجوا منها أحياء .

ونظر إليه الرجال الثلاثة فى خوف وفزع ، ثم أسرعوا يغادرون المكان .

واستعاد (رفعت) هدوءه ، وأبعد إصبعه من فوق زناد المسدس ، بعد أن اطمأن إلى نجاح (ممدوح) فى أداء دوره .

وفى أثناء ذلك كان صاحب المقهى يحاول أن يرفع سماعة التليفون بهدوء وحذر ، مستعدًا لإدارة القرص وعيناه ترقبان (ممدوح) .

ولكن الرجل الذى تبدو عليه أمارات الأبهة والثراء ، أمسك بيده قائلاً :

ــ لا داعى للاتصال بالشرطة يا عزيزى (خوزيه) ، فسوف أدفع لك ثمن الخسائر التى لحقت بالمقهى .

ثم تناول كأسه ، وغادر مقعده العالى ، متجهًا إلى مائدة (ممدوح) الذى كان يعيد تنظيم ثيابه .

* * *



٤ ــ اتفاق مع الشيطان ..

اقترب الرجل باسمًا ، وجلس على مقعد مجاور لـ (ممدوح) ، وابتدره قائلاً :

ــ أتسمح لى بتناول بعض الشراب معك ؟

ونظر إليه (ممدوح) شذرًا ، ثم قال :

ــ لا بأس .. ما دمت ستدفع الثمن .

فازدادت الابتسامة على وجه الرجل الأنيق ، وقال :

ــ أعرّفك بنفسى .. إننى أدعى (روميرو) .

فقال (ممدوح) دون اكتراث :

ــ وأنا أدعى (بوكو) ، ويلقّبوننى بفهد كمبالا .

وأقبل الساقى حاملاً لهما بعض الشراب ، فاستأنف (روميرو) حديثه قائلاً :

ــ إنك تبدو مقاتلاً شرسًا ، وقد سمعتك تقول إنك كنت تخدم ضمن القوات الخاصة الأوغندية .. فهل استقلت الآن من الجيش ؟

ممدوح :

ــ بل فُصلْت .

روميرو :

ــ ولِمَ ؟

ممدوح :

ــ وما شأنك بهذا ؟

روميرو :

ــ لقد رأيت أن نقطع ملل هذا الليل الطويل ببعض الحديث .

ممدوح :

ــ لقد فصلت بدعوى سوء السلوك .

روميرو :

ــ سوء السلوك ؟

ممدوح :

ــ نعم .. فقد حاول أحدهم أن يزاحمنى ليأخذ دورى فى أثناء توزيع الطعام على رجال الكتيبة التى أتبعها ، فحطمت رأسه .

روميرو :

ــ ولكن ماذا جاء بك إلى البرتغال ؟

ممدوح :

ــ لقد كنت أعمل فوق إحدى السفن اليونانية عدة شهور بعد فصلى .. لكن قبطانها صمّم على طردى من السفينة بعد وصولها إلى البرتغال .

روميرو :

ــ لماذا ؟ حطمت رأس شخص آخر فوق ظهر السفينة ؟

ممدوح :

ــ لا .. بل ألقيت بالقبطان نفسه إلى البحر على أثر مشادة كلامية .. إننى حاد المزاج ، ولا أطيق الأوامر المتعنتة .

روميرو :

ــ إذن فأنت الآن متعطّل ؟

ممدوح :

ـ نعم .. لقد استطعت جمع مبلغ لا بأس به خلال عملى على ظهر السفينة ، ولكن لا بدَّ من البحث عن عمل آخر قبل أن تنفد النقود .

روميرو :

ـ ماذا ترى إن عرضت عليك عملاً مجزيًا يتناسب مع مواهبك ؟

ممدوح :

ـ وما نوع هذا العمل ؟

دنا (روميرو) من (ممدوح) ، وهو يهمس له قائلاً :

ـ هناك فرقة كاملة من قوات المرتزقة التى تعمل لحساب أحد الأشخاص فى إفريقية ، وهو بحاجة لخمسة عشر رجلاً ليضمهم إلى فرقته .

ثم تراجع ليستند بظهره إلى المقعد ، وتابع حديثه :

ـ إن كونك إفريقيًا أصيلًا .. وجنديًا سابقًا بقوات الكوماندوز .. إضافة إلى ما رأيته بنفسى من مواهبك

القتالية ، يجعلك المرشح الأول بالنسبة لى .

ونظر إليه (ممدوح) طويلاً وهو يصطنع التردُّد قائلاً :

ـ وما الدور الذى تؤديه هذه القوات فى إفريقية ؟

روميرو :

ـ لعلك سمعت من قبل عن المرتزقة .. إن الذين ينخرطون فى صفوف المرتزقة ، يعرفون أن دورهم قاصر على تنفيذ الأوامر التى تصدر إليهم مقابل ما يتقاضونه من مال . وهم لا يحاولون أبدًا إلقاء الأسئلة ، أو التنقيب وراء الدورالذى يقومون به لحساب الجهة التى تدفع لهم .

ممدوح :

ـ حسنًا .. أمهلنى بعض الوقت للتفكير .

روميرو :

ـ إن الأمر لا يحتمل التفكير .. فلا بد من إرسال خمسة عشر رجلاً إلى إفريقية فى غضون ثلاثة أيام ، فإما أن تقبل أو ترفض .

ممدوح :

ــ ولكنى لا أعرف شيئًا ، عما إذا كان العمل الذى سأقوم به مشروعًا أم غير مشروع .

وابتسم (روميرو) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ــ أحسب أن خمسة آلاف دولار تحصل عليها عند توقيع العقد ، بالإضافة إلى ألف دولار شهريًا ، تجعل كل شىء مشروعًا .

قال (ممدوح) متظاهرًا بأنه قد تخلص من تردُّده :

ــ خمسة آلاف دولار !! أعتقد أنه من الغباء رفض مثل هذا المبلغ مهما كان نوع العمل .

روميرو :

ــ إذن اتفقنا .. قابلنى غدًا فى هذا العنوان ، وكن مستعدًّا للسفر إلى إفريقية .

وصافحه (ممدوح) مودِّعًا وهو يغمز بطرف عينه إلى (رفعت) ، دلالة على نجاحه فى دوره .

أما (رفعت) فقد غادر المقهى بدوره فى طريقه إلى

لشبونة ، ومنها إلى القاهرة ، وذلك بعد أن انتهى دوْره فى البرتغال ، ليبلغ اللواء (مراد) بنجاح (ممدوح) فى الجزء الأول من مهمته ..

* * *



٥ ــ لعبة الحرب ..

حلّقت طائرة عسكرية خاصة بنقل الجنود فى أثناء الليل ، فوق منطقة دغلية ، تنتشر بها الغابات الكثيفة .

وكان (ممدوح) جالسًا داخل الطائرة ومعه أربعة عشر رجلاً من جنسيات مختلفة ، وإن كانوا يشتركون فى لون البشرة ، التى تراوحت بين الاسمرار الخفيف والسواد الفاحم .. كانوا جميعًا يرتدون الملابس العسكرية ، بعد إذ أصبحوا مجندين للعمل فى صفوف المرتزقة .

وفجأة ، فتحت كابينة الطائرة ، وأطل منها شخص متوسط القامة ، بدت على وجهه ملامح الصرامة والعبوس .. ووجه حديثه إلى الرجال قائلاً :

ــ إننا سنهبط هنا .. عليكم أن تكونوا مستعدين .. وبمجرد هبوطى سوف أقوم بإطلاق طلقة إشارة من مسدسى ، وعليكم أن تتجمّعوا عند مصدر هذه الطلقة



بعد التخلّص من مظلات الهبوط .. على أن يتم ذلك بأقصى سرعة .. وأريد أن أحذركم بأننا لن نمكث فى المكان الذى سنجتمع عنده أكثر من عشر دقائق ، وكل من يتأخر عن التواجد عند نقطة التجمع سنعتبره مفقودًا أو قتيلاً ؛ لأننا نضع فى حساباتنا دائمًا نسبة عشرين فى المائة من الخسائر فى عملية الهبوط فوق هذه الغابات الكثيفة ، وعلى كل من يبطئ منكم أن يتحمل تبعة القصور فى لياقته ؛ لأنه إما أن تلتهمه وحوش الأدغال الجائعة ، أو يصبح بالنسبة لنا خائنًا لا بد من قتله فور رؤيته .. إنه فى النهاية لن يخرج حيًّا من هذه الأدغال .

وانفتح باب الطائرة ، ووقف الرجال استعدادًا للهبوط بالمظلات ، تحت إشراف ذلك القائد الصارم ، الذى بدأ يصدر أوامره لهم بالهبوط .

وكان (ممدوح) ثالث رجل يقفز بالمظلة ، فى حين كان ذلك القائد هو الأخير .

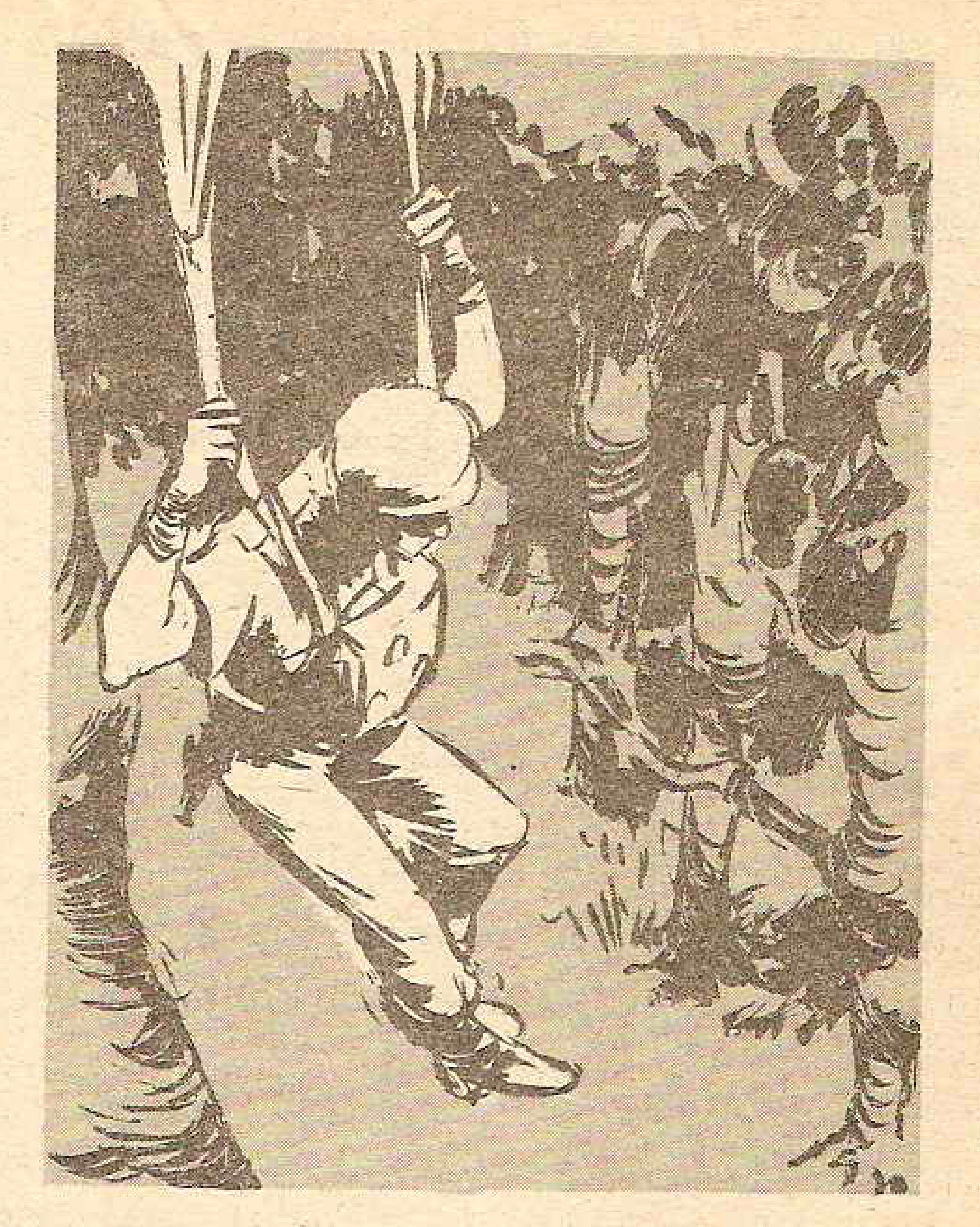
لم يكن القفز يمثل مشكلة بالنسبة لرجل مثل

(ممدوح) ، فقد تلقّى تدريبات عالية على القفز بالمظلات مدة ثلاثة شهور ، تحت إشراف أمهر المدربين بقوات المظلات المصرية ، لكن المشكلة الحقيقية بالنسبة له ، هى أنه لم يتلقَّ تدريبًا خاصًّا للقفز فى المناطق الدغلية الكثيفة .

لذا فقد صادفته أولى المتاعب ، عندما تعلّقت مظلته بأحد فروع الأشجار العالية المتشابكة فى أثناء الهبوط .. وحاول (ممدوح) جاهدًا التخلّص من هذا المأزق الحرج دون جدوى ، فقد تشابكت حبال المظلة بباقى الأفرع ، وأصبح من المستحيل التخلص منها دون تمزيق هذه الحبال ..

كان معنى ذلك سقوط (ممدوح) من هذا الارتفاع الشاهق ، الذى تمثله الشجرة العالية إلى الأرض محطّمًا .

ورأى (ممدوح) وهو على هذا الوضع طلقة الإشارة وهى ترتفع إلى السماء ، لتحدّد مكان التجمع .



فقد صادفته أولى المتاعب، عندما تعلّقت مظلته
بأحد فروع الأشجار العالية المتشابكة فى أثناء الهبوط

فلم يعد أمامه سوى التخلص من هذا المأزق بأى ثمن ، حتى يستطيع أن يلحق بالآخرين .

وحاول (ممدوح) الإمساك بالخنجر المعلق فى حزامه ، حتى استطاع أن يتمكن منه ، ثم أسرع يمزّق حبال المظلة الملتفة حول صدره وكتفه ، إلى أن تخلّص منها تمامًا .

وظل ممسكًا بهذه الحبال الممزقة بكلتا يديه ، وهو معلق فى الهواء ، لا يجرؤ على القفز من هذا الارتفاع الشاهق ، ولا يجرؤ على ترك الحبال المعلق بها تفلت من يديه .

وأخيرًا لمح أحد الأغصان الطويلة المدلاة من شجرة قريبة ، وقد تشابكت فروعها مع أفرع الشجرة المعلق بها .. ولم ير (ممدوح) مناصًا من أن يخاطر بالقفز إلى هذا الغصن مهما كانت العواقب .. فهو وسيلته الوحيدة للنجاة من ذلك المأزق .

أخذ يتأرجح إلى الأمام وإلى الخلف ، ممسكًا بأربطة

المظلة ، ثم قفز فى الهواء قفزة هائلة ، يمسك بغصن الشجرة الذى كان متينًا ، كانت قفزة شديدة وبارعة براعة تحسده عليها القردة .. وبدأ (ممدوح) يمثل دور (طرزان) وهو يتنقل من غصن إلى آخر ، حتى استطاع أخيرًا أن يهبط إلى الأرض .

ثم انطلق يعدو مسرعًا فى اتجاه المكان الذى انطلقت منه طلقة الإشارة .

ووصل (ممدوح) فى اللحظة الأخيرة ، ليجد الرجال مجتمعين وهم ممسكون بأسلحتهم .

ونظر إليه الرجل صاحب الوجه الصارم متسائلاً :

ــ لِمَ تأخَّرت كل هذا الوقت ؟

وقبل أن ينتظر ردًّا من (ممدوح) ، تطلع إلى ساعته الفوسفورية ، وقال :

ــ انتهت الدقائق العشر .. هناك اثنان تخلَّفا .. إنهما الآن خارج فريقنا .. وحتى إذا حاولا اللِّحاق بنا ، فعليكم أن تطلقوا النار عليهما .

وحاول أحدهم أن يحتج قائلاً :

ــ إن أحدهما صديقى .. ونحن لن يضيرنا شىء إذا ما انتظرنا خمس دقائق أخرى ..

فالتفت القائد الصارم إليه ، مصوِّبًا مدفعه نحوه وهو يقول :

ــ لقد أصدرت أوامرى بهذا الشأن فى الطائرة ، ولن نعود لمناقشتها فى هذا المكان .. من يُرِدْ منكم أن يحتج فسأدفن جثته هنا .

وسكت الرجل وابتلع احتجاجه فى إذعان ، فيما أخذ القائد الصارم يقودهم بين الأحراش فى حنكة الخبير ، وقد راح يتخلَّص من الحيوانات والزواحف التى كانت تعترضهم فى الليل ، وكأنه قد اعتاد تأدية هذا العمل ببساطة .

وبعد ساعة من السير الشاق وسط الأحراش ، بلغوا منطقة جبلية ، لا ترتفع قممها كثيرًا عن سطح الأرض ،وقد اكتست بالخضرة ،مما أكسبها جمالاً أخَّاذًا ..

ارتقى الرجال المنطقة الجبلية المنحدرة ، ليهبطوا إلى سفح الجبل ، حيث كانت هناك مساحة دغلية شاسعة ، أكثر كثافة من سابقتها .

وكم كانت دهشة (ممدوح) عندما وقعت عيناه على قاعدة عسكرية كاملة لقوات المرتزقة ، مختفية أسفل غطاء زائف من الأشجار الصناعية التى غطت شطرًا من المكان .

وأخرج قائد المسيرة آلة غريبة من ثيابه ، أخذ ينفخ فيها مطلقًا صفيرًا مميَّزًا .

وسمعت المجموعة صوت صفير آخر يتجاوب معه ..

وإن هى إلا لحظات ، حتى أخذ غطاء الأشجار الصناعية الزائف يرتفع عن الأرض ، ليكشف عن فجوة متسعة تؤدى إلى أرض منحدرة ، ودعاهم قائدهم للدخول قائلاً :

ـــ لقد بلغنا نهاية الرحلة .. فى هذا المكان ستتلقّون تدريباتكم ، ومن هذا المكان ستنطلق عملياتكم ..

وعليكم أن توطنوا أنفسكم على المعيشة فترة طويلة هنا .

تبادل الرجال النظرات ، وقد تملّكهم شعور غامض بالرهبة والخوف ..

وفى الداخل شاهد (ممدوح) معسكرات تدريب عسكرية كاملة .. وبضع طائرات حربية ، وطائرات الهليكوبتر ، وسيارات جيب ، وأخرى لنقل الجنود .

وعلى الجملة .. كان هناك جيش كامل من المرتزقة يختفى فى هذه المنطقة المجهولة من إفريقية .

وعند أول ضوء من صبح اليوم التالى ، بدأت التدريبات الشاقّة للمجموعة الجديدة ، التى سرعان ما انخرطت فى صفوف القدامى من رجال المرتزقة السابقين .

واستلفت نظر (ممدوح) وجود حراسة مشدَّدة ، حول الوحدة الطبية الخاصة بالفرقة .

وحاول أن يلمّ بشىء عن هذه الوحدة ، ولكن أحدًا لم يقدم له جوابًا شافيًا ، سوى أنها وحدة مخصصة

لعلاج الجرحى والمصابين من المرتزقة .

وفى أثناء أحد التدريبات العنيفة التى كان يقوم بها الرجال ، أقبلت إحدى طائرات الهليكوبتر ، تقل ثلاثة أفراد من بينهم (روميرو) ، ويتوسطهم رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، يتهدّل شعره الفضىّ الطويل على جبينه .. وقد بدا بشاربه الفضّىّ المتصل بلحيته أشبه بملوك القرون الوسطى .

وقف الرجل يرقب التدريب قليلاً ، ثم طلب من قائدهم صاحب الوجه الصارم ، أن يصرف الجميع عدا الرجال الثلاثة عشر الجدد .

وعلى الفور .. أمر القائد بانصراف باقى الجنود ، على أن يبقى الرجال الثلاثة عشر ، الذين وقفوا فى صف واحد منتظم .

وبدأ الرجل ذو الشعر الفضّى يدور حولهم ، وكأنه يستعرضهم ، ثم عاد ليقف أمامهم قائلاً لـ (روميرو) :

— أرجو أن تكون قد أحسنت اختيار هؤلاء الرجال .

روميرو :

— سترى يا سيّدى أنهم سيصبحون من أفضل الرجال العاملين فى صفوفنا .

ولم يعقب الرجل ، بل وجَّه حديثه إليهم قائلاً :

— أعرِّفكم بنفسى .. اسمى (هلموت ڤون) ، الرجل الذى استأجركم للعمل لحسابه .. إنكم متشوقون بالطبع لمعرفة الدور الذى ستقومون به هنا .

وأستطيع الآن أن أحدِّده لكم .. فكما تعرفون ، هناك دولتان إفريقيتان تشتعل بينهما الحرب على مقربة من هذا المكان ، وذلك منذ عدة سنوات .

وهناك الكثير من المحاولات التى تبذل لإنهاء هذه الحرب ، وبالنسبة لى فأنا أريد القضاء على هذه المحاولات ؛ لأن إنهاء الحرب يتعارض مع مصالحى فى المنطقة .. ووسيلتى لنسف هذه المحاولات السلمية تعتمد عليكم أنتم .

فمخزن المهمات هنا يحتوى على العديد من الملابس والشارات العسكرية الخاصة بقوات الدولتين .

وارتداؤكم الملابس العسكرية لوحدة صغيرة من (كونارى) أو (جوانجا) ، بالإضافة إلى هجـــوم خاطف سريع على أراضى إحدى الدولتين ، كفيل بإضرام نار الصراع كلما خمدت جذوتها .. هذه هى مهمتكم باختصار ، والمطلوب منكم أن تؤدوها بنجاح .. وبالمناسبة أريد منكم أن تعرفوا أننا لا نخلف وراءنا أسرى ، فعليكم أن تعملوا جهدكم كيلا تقعوا فى أيدى قوات أى من الدولتين ؛ لأن ذلك قد يؤدى إلى كشف مخططنا بالكامل . وأريد منكم أن تعرفوا أيضًا أن هناك عددًا من رجال القناصة ، يصحبونكم دائمًا فى العمليات التى تقومون بها ، لقتل وتصفية كل من يحاول الاستسلام ، أو يشرف على الوقوع فى الأسر .

أنهى الرجل خطبته القصيرة ، ولم ينتظر ليرى تأثيرها على الرجال ، بل استدار عائدًا فى طريقه نحو

الطائرة التى أقلّته ، تشيعه نظرات (ممدوح) ، الذى أخذ يردِّد لنفسه قائلاً :

ـــ إذن فأنت الشيطان الذى يقف وراء تلك المآسى والحروب ، التى اكتوت بها الدولتان الإفريقيتان ، ومن يدرى كم من المآسى الأخرى التى تسبّبتَ أو ستتسبّب فيها ؟

* * *



٦ ـ خطة مستحيلة ..

كانت للمساعى الحميدة التى قام بها الرؤساء الأفارقة ، أثرها فى وقف القتال من جديد بين دولتى (جوانجا) و (كونارى) ، تمهيدًا لعقد اتفاقية سلام دائم بين الدولتين ، تنهى الصراع الدائر بينهما .

لذا فقد صدرت الأوامر لقوات المرتزقة ، بالاستعداد لشن هجوم مزدوج على حدود الدولتين ، خلال الأسبوع القادم ، لمنع توقيع هذه الاتفاقية السلمية .

وكانت الأوامر الصادرة لهذه القوات تقضى بتقسيمها إلى وحدتين ، ترتدى كل منهما الملابس العسكرية للدولة المعادية ، وشنّ الهجوم على حدود الدولة الأخرى .

ووقف قائد المرتزقة ، يشرح لهم خطة الهجوم المرتقب قائلاً :



— ستنقسم القوات المهاجمة إلى وحدتين ، تتكوَّن كل وحدة من مائتى رجل ، حيث تقوم طائرات الهليكوبتر بنقلهم قرب الحدود فى أثناء الليل ، وسوف تتسلَّل كلتا الوحدتين فى توقيت واحد إلى هاتين النقطتين داخل حدود (كونارى) و (جوانجا) .

وقام بتحديدهما على الخريطة المنشورة أمامه قائلاً :

— إنهما أضعف نقطتين بالنسبة للتحصينات المقامة على طول الحدود .. وسوف تكون مهمة الوحدة المهاجمة للحدود (الكونارية) شن هجوم سريع على فصيلة مشاة قوامها أربعون رجلاً ، وتتخذ لها موقعًا بين الأحراش الموجودة فى ذلك الموقع .

وقام بتحديده على الخريطة .

أما الوحدة المهاجمة للحدود (الجوانجية) ، فإن مهمتها ستكون مهاجمة إحدى القبائل (الجوانجية) التى تستوطن ذلك الموقع قرب الحدود .

وعليكم أن تنهوا تلك العملية خلال ساعة واحدة ،

لتعودوا بعدها إلى نقطة التجمع التى ستنطلقون منها ؛ كى تقوم الطائرات بنقلكم إلى مقر القيادة من جديد .. والسرعة هنا مطلوبة قبل أن تتحرَّك قوات الدولتين لمهاجمتنا .

وأدرك (ممدوح) أن ساعة العمل قد حانت ، وأنه لا بد أن يتصرَّف سريعًا ؛ كى يضع نهاية لهذه اللعبة الدموية ، وقبل أن يسقط المزيد من الضحايا الأبرياء .

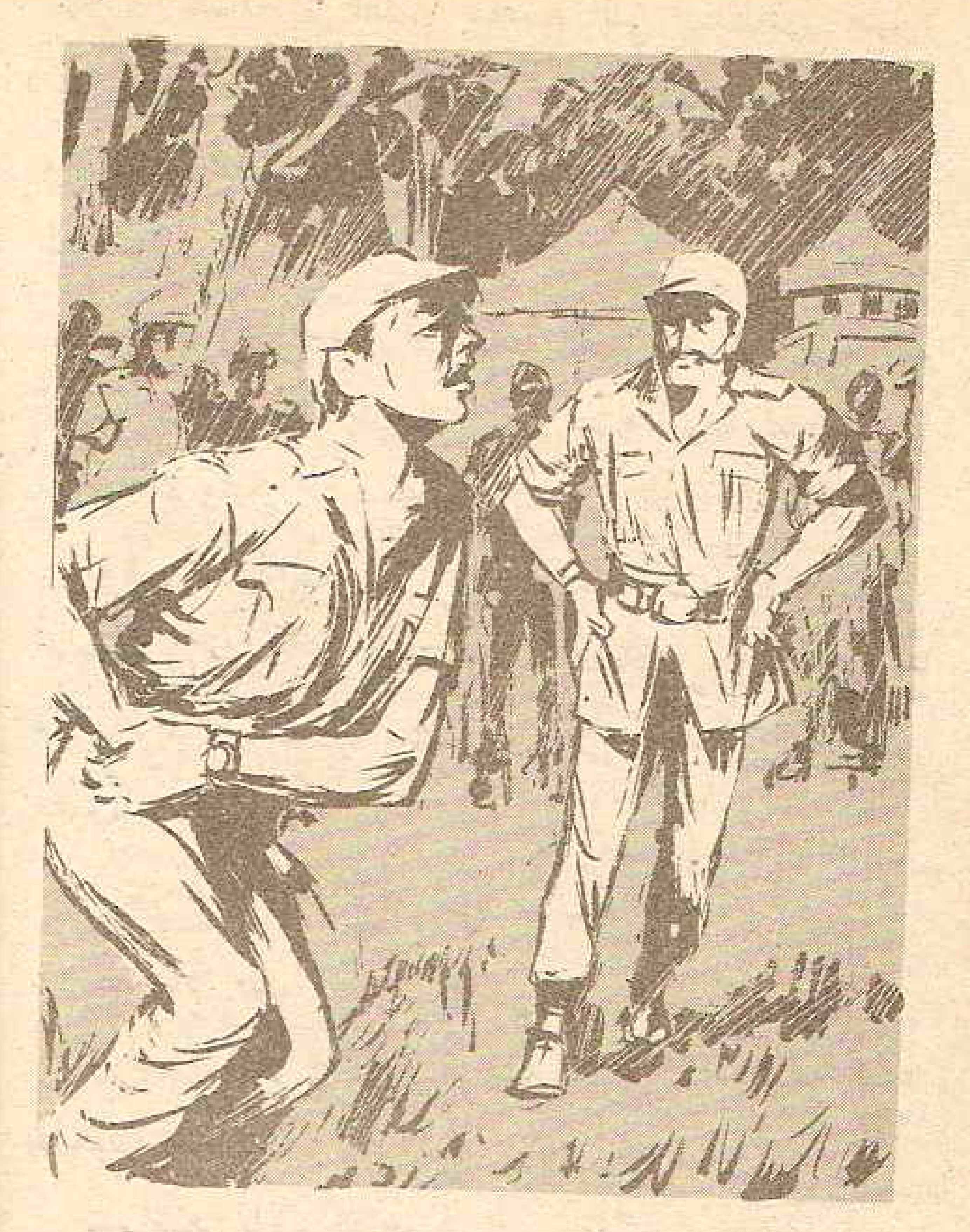
وفى أثناء التدريب على تنفيذ الخطة الهجومية .. أمسك (ممدوح) بأحد جنبيه فجأة ، وأخذ يصرخ متألمًا، ثم لم يلبث أن سقط على الأرض أمام الجنود وهو يتلوَّى من الألم .

وأسرع قائد المرتزقة نحوه متسائلاً :

— ماذا بك ؟

ورسم (ممدوح) على وجهه ملامح الألم ، وهو يجيبه بصعوبة قائلاً :

— أشعر بآلام فظيعة فى جنبى الأيمن .. أعتقد أننى



وفى أثناء التدريب على تنفيذ الخطة الهجومية .. أمسك (ممدوح) بأحد جنبيه فجأة، وأخذ يصرخ متألمًا ..

مصاب بالتهاب فى الزائدة الدودية .. إننى بحاجة إلى طبيب .

ونظر إليه القائد الصارم قليلاً .. ثم قال لاثنين من رجاله :

ــ انقلوه إلى الوحدة الطبية .

قام الرجلان بنقله إلى الوحدة الطبية ، التى كانت حتى ذلك الوقت منطقة محرمة بالنسبة لرجال المرتزقة ..

وكان (ممدوح) يريد التأكد مما إذا كان أفراد البعثة الطبية المصرية موجودين ضمن هذه الوحدة الطبية أم لا ، خاصة وقد لاحظ وجود حراسة مشدَّدة حولها ، وأوامر بمنع الاقتراب منها ، مما يجعل من بداخلها أقرب إلى الأسرى منهم إلى أطباء معالجين .

وعندما نقل (ممدوح) إلى داخل الوحدة الطبية ، أسرع الأطباء الموجودون بداخلها بتوقيع الكشف الطبِّى عليه .

واستطاع أن يتعرَّف من وجوههم الطبيبين

المصريين ، بالإضافة إلى الممرضتين (الجوانجيتين) .. أى أنه قد أصبح الآن قريبًا من البعثة الطبية التى جاء لإنقاذها .

وانصرف الرجلان اللذان أحضراه ، فى حين قام الدكتور (عامر) بفك أزرار سترته للكشف عليه ، قائلاً له :

ـ ممَّ تشكو ؟

ولكن (ممدوح) لم يجبه ، بل قام بفك أزرار داخلية فى بطانة سترته ، ليخرج منها بطاقة صغيرة قدمها إلى الطبيب قائلاً :

ـ إننى لا أشكو من شىء .. أنا المقدم (ممدوح) من إدارة العمليات الخاصة ، وهى أحد أجهزة الأمن المصرية .. وقد جئت من أجل هدف واحد ، هو إنقاذكم والعودة بكم إلى الوطن .

واختلطت الدهشة بالفرحة على وجوه أفراد البعثة ، من أثر المفاجأة ، ولكن (ممدوح) ابتدرهم :

ـ إننى لا أستطيع أن أعدكم بأن الإفلات من هنا سيكون أمرًا سهلاً . ولكننى سأحاول بذل قصارى جهدى .. يهمنى الآن قبل أن نتحرك أن تشرحوا لى فى إيجاز الموقف بالنسبة للأوراق التى حصلتم عليها ..

قال له الدكتور (عامر) :

ـ إنها أوراق هامة ، تثبت تورُّط أفراد من قوات المرتزقة فى تلك الحرب الدائرة بين دولتى (كونارى) و (جوانجا) .. كما تثبت أيضًا أنهم يعملون لحساب رجل يدعى (هلموت ڤون) ، وأنه يستغلهم فى إشعال نيران هذه الحرب بصورة دائمة ..

ونظرًا لما تبينته من خطورة هذه الأوراق ، وما يمكن أن تحققه من وضع نهاية لهذه الحرب الطاحنة .. فقد خبأتها داخل أحد الأجهزة الطبية الدقيقة ، فى العربة المخصصة للبعثة ، قبل وقوعنا فى الأسر .

لقد حاولوا هنا أن يحصلوا على هذه الأوراق بمختلف الطرق ، مستخدمين فى ذلك جميع وسائل الترغيب

والتعذيب ، ولكننى لم أبح لهم بمكانها الذى أخفيته ، حتى عن زملائى من أفراد البعثة .. ولما يئسوا من العثور على هذه الأوراق قرروا الإبقاء علينا هنا ، واستخدامنا لعلاج المصابين والمرضى منهم ، نظرًا لافتقارهم لطبيب معالج .

ممدوح :

ــ إذن هذه الأوراق مخفاة بالسيارة الطبية ؟

الدكتور (عامر) :

ــ نعم وهى تقف على بعد خطوات من هذه الوحدة .

ممدوح :

ــ حسنًا .. أنصتوا لى جيدًا .. أمنكم من يجيد قيادة السيارات ؟

أجابه الدكتور (عامر) ، وهو يشير لرجل معهم داخل الغرفة :

ــ معنا سائق السيارة نفسها .. لقد أبقوا عليه

عندما ادعينا أنه يعمل معنا كممرض بجانب قيادته للسيارة الطبية .

ممدوح :

ــ حسنًا .. ستطلب من ضابط الحراسة الآن أن يتم نقلى إلى السيارة الطبية على وجه السرعة ، لحاجتى لإجراء جراحة عاجلة ؛ ولأن جميع الاستعدادات والوسائل الطبية المطلوبة لإجراء مثل هذه العملية موجودة بالسيارة .. بعد ذلك سيتظاهر السائق بإحضار بعض الأدوات الطبية الموجودة أسفل المقعد الأمامى للسيارة .. ثم يستعين بهذا لتشغيل السيارة ، وجعلها جاهزة للتحرُّك .

وأخرج جهازًا دقيقًا يشبه إبرة الخياطة ، وقدمه للسائق قائلاً :

ــ إنه جهاز كفيل بإدارة محرِّكات أى سيارة ، دون حاجة لمفتاحها الأصلى .

الدكتور (عامر) :

ـ وبعد ذلك ؟

ممدوح :

ـ بعد ذلك دعوا الباقى لى .. المهم الآن أن ننجح أولاً فى الوصول إلى سيارة البعثة .

* * *



٧ ـ الهروب من الجحيم ..

رفع الدكتور (عامر) عقيرته ، مناديًا الحارس الواقف بباب الوحدة الطبية قائلاً :

ـ هذا الرجل فى حالة خطيرة للغاية ، ولا بدّ من نقله للسيارة الطبية لإجراء جراحة عاجلة له .

ولكن الحارس نظر إليه من خلال كوة الباب قائلاً :

ـ ولِمَ لا تجريها له هنا ؟

الدكتور (عامر) :

ـ لا توجد هنا استعدادات كافية لإجراء مثل هذه الجراحة .

قال له الحارس :

ـ لا بد من الحصول على موافقة القائد على أمر كهذا .

قال له الدكتور (عامر) غاضبًا :

ـــ خذ موافقة من تشاء .. لكن لا بد من الإسراع ، إذا كنتم تريدون الإبقاء على حياة هذا الرجل .

وغاب الحارس قليلاً ليعود ومعه قائد القاعدة ، الذى سأل الدكتور (عامر) فى ضجر :

ـــ ألا يمكنك إجراء العملية هنا ؟

الدكتور (عامر) :

ـــ إن سيارتنا مجهَّزة بكل الإمكانات لإجراء العمليات الجراحية وهى إمكانات لا تتوافر داخل هذه الوحدة ، كما أنه لا يمكن نقل الأجهزة الطبية إلى هنا ؛ لأنها أجهزة دقيقة وحسَّاسة للغاية ، ومعدَّة خصيصًا لذلك النوع من السيارات الطبية فقط ..

قال له القائد بعد تردُّد :

ـــ حسنًا .. انقلوه إلى السيارة ، ودعونا ننتهى سريعًا من هذا الأمر كله ..

ثم نظر إلى ضابط الحراسة قائلاً :

ـــ فلتنقل قوة الحراسة إلى حيث توجد سيارتهم ،

وأحكموا مراقبتهم حتى ينتهوا من إجراء العملية .

كان (ممدوح) قد نجح فى إخفاء قنبلتين إلكترونيَّتين فى أركان الوحدة الطبية ، فى أثناء استدعاء القائد وقبل نقله إلى السيارة .. وعندما تم انتقال الفريق الطبِّى إلى سيارة البعثة ، التى أحاط بها رجال الحرس المسلح ، قال ضابط الحراسة للدكتور (عامر) :

ـــ ستجرى العملية وأبواب السيارة مفتوحة .

الدكتور (عامر) :

ـــ هذا مستحيل .. فالسيارة لا بد أن تعقَّم من الداخل قبل إجراء العملية ، منعًا من التلوُّث والميكروبات .

وبدا على الرجل التردُّد قليلاً ، ثم قال :

ـــ فليكن ، ولكن سيكون معك أحد رجالى بالداخل .

ولم يجد الدكتور (عامر) مناصًا من الموافقة إزاء إصرار الرجل ، حتى لا يثير شكوكه ..

دخلت المجموعة الطبية إلى السيارة المجهزة ، بعد أن أغلقوا أبوابها خلفهم .

وراح الدكتور (عامر) وأفراد البعثة يتبادلون النظرات فى حيرة ، إزاء وجود ذلك الرقيب المسلح معهم .

ولكن الطبيب المصرى المصاحب للبعثة اهتدى إلى وسيلة ؛ فعندما بدأ الدكتور (عامر) والممرضات يضعون الكمامات الطبية المعقمة فوق أنوفهم وأفواههم ، كما هو المألوف فى أثناء العمليات الجراحية ، قام الدكتور (منير) بمغافلة الحارس ، ووضع قليلاً من مخدِّر سائل على واحدة من هذه الكمامات التى قدمها له قائلاً :

ـ عليك بوضع هذه فوق أنفك وفمك بإحكام مثلنا ، فهذا من قبيل الإجراءات الوقائية ، قبل البدء فى إجراء العمليات الجراحية .

الحارس :

ـ لكنى سأقف بعيدًا عنكم .

قال الدكتور (منير) فى حدة :

ـ لا بد أن يكون كل شىء هنا معقمًا حتى أنفاسك .. أرجوك لا تضيع وقتنا ، فلا بد من الشروع فى إجراء العملية فورًا ..

ورضخ الرجل ، وقام بوضع حزام مدفعه الآلى حول كتفه ، ليتمكَّن من إحكام الكمامة حول أنفه .

ولكنه لم يكد يتشمَّم رائحة المخدِّر وهى تدنو من أنفه ، حتى حاول التخلُّص من الكمامة والإمساك بسلاحه .

ولكن الطبيب الشاب لم يضيع الفرصة ، فقد انتهز تأثير الغشاوة التى أحدثتها رائحة المخدِّر بالرجل ، فهجم عليه من الخلف ، ضاغطًا الكمامة على أنفه بقوة ، إلى أن سقط فاقد الوعى ..

حينئذ نهض (ممدوح) من رقدته من فوق مائدة العمليات ، ليهنئ الطبيب الشاب على ذكائه قائلًا :

ـــ كانت لمحة ذكية منك يا دكتور (منير) .. إنك لم تخلِّصنا من هذا الرقيب المسلح فحسب ، بل أتحت لنا فرصة الحصول على سلاحه الذى لا بد أننا سنحتاج إليه فيما بعد .

ونظر إلى السائق قائلاً له فى سرعة :

ـــ الآن يأتى دورك .. عليك أن تصل إلى عجلة القيادة لتدير محرِّك السيارة ، وتكون جاهزًا للانطلاق بها .

السائق :

ـــ ولكن هؤلاء المسلحين فى الخارج .. إنهم سيقضون علىَّ بمجرد سماعهم لصوت المحركات وهى تدور .

ممدوح :

ـــ لا تخف سأشغلهم عنك بشىء آخر .

وبدا على السائق الخوف والتردد ، لكن (ممدوح) شجعه قائلاً :

ـــ تذكَّر أنها فرصتنا الوحيدة للهروب من معسكر الجحيم هذا .

وتغلَّب السائق على تردُّده ، وقال :

ـــ فليكن .. افتحوا لى باب السيارة .

وأخرج (ممدوح) خنجرًا كان يخفيه فى حزامه ، وقدمه للسائق قائلاً :

ـــ احتفظ بهذا الخنجر ، فقد تضطر لاستخدامه إذا ما تأزَّمت الأمور .

وتناول السائق الخنجر ودسَّه داخل قميصه ، وهو يتأهَّب للخروج من الباب الخلفى للسيارة الطبية .

وكان (ممدوح) قد عاد وتمدَّد على منضدة العمليات قبل فتح باب السيارة ، وقد التف الطبيبان والممرضتان حوله ، متظاهرين بإجراء العملية ؛ فى حين جعلوا الرجل المسلَّح الذى قاموا بتخديره فى وضع الجلوس ، وهو ممسك بسلاحه وظهره للباب ، حتى يبدو لمن يراه أنه قائم بالمراقبة .

ولم يكد السائق يهمّ بالهبوط من السيارة ، حتى استوقفه أحد المسلحين متسائلاً :

ــ إلى أين ؟

السائق :

ــ سأحضر بعض الأدوات الطبية من مقدمة السيارة فهم يحتاجون إليها .

ووجه الحارس الواقف بالخارج نظرة إلى الداخل ليطمئن .. ثم لم يلبث أن سمح له بالهبوط ، لتعود إحدى الممرضتين لإغلاق باب السيارة خلفه .

وحينما بلغ السائق مقدمة السيارة ، وجد أحد المسلحين الآخرين واقفًا مستندًا إلى كابينة القيادة ، وهو يشعل سيجارته .

وسأله الرجل بريبة :

ــ ماذا تريد ؟

السائق :

ــ سأحضر بعض الأدوات الطبية اللازمة لإجراء العملية ..

ولكن الرجل المسلح أزاحه بيده قائلاً :

ــ انتظر هنا .. دلّنى على مكانها ، وسأحضرها لك بنفسى .

أجابه السائق بصوت مرتعش :

ــ إنها أسفل المقعد الأمامى .

وفتح الرجل المسلح باب السيارة الأمامى لإحضار الأدوات الطبية المطلوبة .

وفى هذه اللحظة ضغط (ممدوح) على زرٍّ صغير فى ساعته الإلكترونية لتنفجر القنبلتان الإلكترونيتان اللتان قام بإخفائهما داخل الوحدة الطبية ، محدثتين تدميرًا هائلاً روّع من بالقاعدة جميعًا ..

وكان أول من شلّتهم المفاجأة ، وأثارت فزعهم ، أفراد المجموعة المسلحة الذين كانوا محيطين بسيارة البعثة ، بسبب قربها من الوحدة الطبية التى دُمّرت .

وانتهز السائق وقع المفاجأة على الرجل المسلّح ، الذى كان يهم بفتح باب السيارة ، وطعنه بالخنجر



وانتهز السائق وقع المفاجأة على الرجل المسلح ، الذى كان يهم بفتح باب السيارة ، وطعنه بالخنجر ..

الذى قدَّمه له (ممدوح) ، ليلقيه بجوار باب السيارة المفتوح ، بعد أن التقط سلاحه وهو يقفز أمام عجلة القيادة ، مستخدمًا الآلة التى قدمها له (ممدوح) لتشغيل محرِّك السيارة .

وفى أقل من الثانية كانت محركات السيارة تدور ، فى حين أسرع (ممدوح) بفتح النافذة الصغيرة التى تفصل بين كابينة القيادة والعربة الطبية ، صارخًا فيه :

ــ والآن انطلق بأقصى سرعة .

اندفع السائق بالسيارة ، مكتسحًا بها كل من يعترضه ، وهو ماضٍ فى طريقه للخروج من القاعدة العسكرية ، وسط ذهول الجميع ودهشتهم ..

ولم يكد الرجال الموجودون بالقاعدة يفيقون من وقع المفاجأة حتى أسرعوا يعدُون خلف السيارة ، وهم يصوِّبون نيران أسلحتهم نحوها .

فيما صرخ قائد القاعدة فى مجموعة أخرى من الرجال بركوب سيارات الجيب ، لمطاردة السيارة الطبية وتدميرها بمن فيها .

هذا فى حين صرخ (ممدوح) فى أفراد البعثة ، أن ينبطحوا على وجوههم فوق أرضية السيارة ، لتفادى الطلقات المنهالة عليهم .. وبينما السيارة تقترب من المنفذ الخارجى للقاعدة ، قال (ممدوح) للسائق :

ـــ هدئ السرعة ، واستمر فى طريقك .

ثم فتح (ممدوح) الباب الخلفى للسيارة فجأة ، وهو يدفع الرجل المخدِّر إلى خارجها ، فى اتجاه الرجال الذين كانوا يعدون خلف السيارة ، والذين قاموا بإطلاق النار عليه ظنًّا منهم أنه أحد أفراد البعثة الطبية .

وفى نفس اللحظة صوَّب (ممدوح) المدفع الآلى ، الذى استولى عليه من الرجل ، وأطلق على مطارديه دفعة هائلة من النيران ، جندلت أكثرهم .. فى حين أسرع باقيهم يلُوذ بالفرار ..

وانتهز (ممدوح) الفرصة ، وقذف بنفسه من السيارة ، وهو يحصد بنيران مدفعه ثلاثة من الرجال المسلحين ، الواقفين بجوار المنفذ الخارجى للقاعدة .

وتدحرج (ممدوح) على الأرض ، ليتفادى طلقات الرصاص المصوَّبة نحوه ، وأمسك بذراع الرافع الهيدروليكى الذى يحرك غطاء الأشجار الصناعية الزائف ، ورفعه إلى أعلى ليفتح الطريق أمام السيارة ، ثم عاد ليتابع إطلاق النيران من جديد ، وهو يتراجع إلى الخلف بظهره ، محاولاً القفز داخل السيارة مرة أخرى .

وأخذ أفراد البعثة الطبية ينادونه للإسراع بالتعلُّق بالسيارة قبل مغادرة المكان .. ولكن (ممدوح) كان فى موقف عصيب لا يمكنه من القفز .. فالتفاتة واحدة منه كانت كافية للقضاء عليه .

وعندما شعر السائق بحرج موقف (ممدوح) ، ألقى من خلال النافذة الصغيرة البندقية الآلية التى استولى عليها من الرجل المسلح إلى الصندوق الخلفى للسيارة ، فالتقطها الدكتور (منير) .

وبينما (ممدوح) يتأهَّب للتعلق بالسيارة فى أثناء اندفاعها ، كان أحد رجال القنَّاصة الجالسين فى إحدى

سيارات الجيب المندفعة خلفهم يتأهَّب لتصويب رصاصة إلى ظهره ليرديه قتيلاً .

ولكن يد الدكتور (عامر) التى امتدت لتساعد (ممدوح) على الركوب ، وكذلك الطلقة التى صوَّبها الدكتور (منير) من البندقية الآلية لتطيح بالقنَّاص حالتا دون وقوع هذه النهاية .

ولم يكد (ممدوح) يقفز إلى السيارة فى أثناء انطلاقها من مدخل القاعدة ، حتى قام بفك الأزرار الداخلية لسترته ، ليخرج منها قنبلة إلكترونية ثالثة قذفها خلفه قريبًا من منفذ الخروج .

وعندما اقتربت سيارات الجيب التى تطاردهم من المنفذ الخارجى ، ضغط (ممدوح) على زرِّ التفجير فى ساعته الإلكترونية ، لتنفجر القنبلة ، وتدمِّر مدخل القاعدة ، مطيحة بثلاث من سيارات الجيب لتتحطَّم بمن فيها .

* * *

٨ ــ الموت الطائر ..

اعتدل أفراد البعثة الطبية جالسين فى أرضية السيارة ، وهم يتنفسون الصعداء ، ولا يكادون يصدِّقون أنهم قد أفلتوا من هذا الجحيم المستعر .. على حين كان سائق السيارة (الجوانجى) يرقص منتشيًا ، وقد استخفه الزهو وهو يقود السيارة ، جذلان فرحًا بنجاحه فى الإفلات بها من القاعدة ، برغم كل ما أحاط بها من أخطار .

وابتسم (ممدوح) وهو يقول للدكتور (منير) :

ــ إنك لست ذكيًّا فحسب يا دكتور (منير) ، ولكنك تجيد استخدام البندقية الآلية أيضًا ، وبمقدرة فائقة ، فقد أنقذتنى من قناصٍ محترف .

وبادله الدكتور (منير) الابتسام ، قائلاً فى تواضع :

— لعلك لا تعرف أننى كنت ضابط احتياط بالجيش المصرى ، وكنت الأول دائمًا فى ميادين الرماية .

ممدوح :

— حسنًا .. كن حريصًا إذن على البندقية التى معك ، وعلى براعتك فى استخدامها .. فما من شك أننا مقبلون على متاعب جديدة ؛ لأنهم لن يتوقَّفوا عن مطاردتنا ، بعد أن أصبحنا على علم بكل شىء عن الدور الذى يلعبونه فى هذه المنطقة .

ونظر إلى الدكتور (عامر) قائلاً :

— بالمناسبة .. أين الأوراق التى حصلت عليها من الجندى الكوبى ؟

وقام الدكتور (عامر) بإحضار أحد الأجهزة الطبية ، الذى عالج فتحه بطريقة فنية ، ليستخرج من داخله مجموعة من الأوراق ، قدمها لـ (ممدوح) .

وألقى (ممدوح) نظرة سريعة على الأوراق ، ثم قال :

— هذه الأوراق تثبت تورُّط (هلموت ڤون) فى إشعال الحرب الإفريقية بصورة لا تدع مجالاً للشك .. والسبب واضح فهو يستفيد من وراء تلك الحرب فى ترويج أسلحته المهرَّبة ، وعقد صفقاته غير المشروعة .. لقد نجح ذلك الوغد فى جنى الملايين من استغلال المرتزقة فى إشعال نيران هذه الحُرب على حساب الآلاف من الضحايا .. أتسمح لى بالاحتفاظ بهذه الأوراق الهامة ؟

الدكتور (عامر) :

— بكل تأكيد .

دسَّ (ممدوح) الأوراق التى تحمل أدلّة الإدانة على تورُّط (هلموت ڤون) فى الجيب الداخلى لسترته العسكرية .

ثم قام بعد ذلك بنزع كعب حذائه ، ليخرج من داخل تجويفه أنبوبًا صغيرًا من البلاستيك ، يحتوى على سائل شفاف ، قدَّمه للدكتور (عامر) قائلاً :

— أرجو أن تقوم بحقنى فى ذراعى بهذا السائل .

ونظر الدكتور (عامر) إلى السائل الشفاف متسائلاً :

ــ وما هذا السائل ؟

ممدوح :

ــ مادَّة كيميائية ، تزيل من جلدى هذه الصبغة السوداء ، وتعيد لبشرتى لونها الطبيعى .

الدكتور (عامر) :

ــ نعم لقد عرفته .. إنه نوع نادر من المركبات الكيميائية يسمى (ريتران) .. وقد أحسن خبراء التنكر عندكم استخدامه ، فقد جعلتنى لا أشك لحظة أنك تنتمى لإحدى السلالات الزنجية .

قام الدكتور (عامر) بإحضار حقنة وحقن (ممدوح) بالسائل ، وجلس الجميع يترقَّبون ظهور النتائج خلال عشر دقائق بحسب التركيبة الكيميائية

وفجأة توقَّفت السيارة ، وهبط السائق منها متجهًا إلى المؤخرة مخاطبًا (ممدوح) :

ــ هناك أخدود جبلى يعترض طريق السيارة ، ويحول بيننا وبين مواصلة الطريق .

وهبط (ممدوح) من السيارة يتبعه باقى أفراد البعثة ، ليروا أمامهم أخدودًا جبليًّا ضخمًا ، يفصل بين شطرى الغابة .

قال السائق آسفًا :

ــ لقد فكَّرت فى اختصار الطريق من هنا إلى الحدود (الجوانجية) ، نظرًا لنقص الوقود بالسيارة ، برغم معرفتى بالطريق الأصلى .

ممدوح :

ــ ألا يمكن الالتفاف والذهاب من الطريق الأصلى ؟

السائق :

ــ سيستغرق ذلك وقتًا طويلاً ، والوقود لا يكفى كما قلت .

الدكتور (منير) :

ــ إنه لا بدّ من عبور ذلك الأخدود .

السائق :

ــ سنستعين بالسُلّم المجدول من الحبال ، والذى أقامه الأهالى هنا للعبور إلى الجهة الأخرى من الجبل .

وتطلّع الدكتور (عامر) إلى سُلّم الحبال ، الذى بدا متآكلاً بتأثير الأمطار الغزيرة ، التى تسقط طوال الموسم فى هذه المنطقة ، وقال باستياء :

ــ لكن هذا السُلّم قديم مهترئ .. بل إنه يبدو غير صالح للاستعمال البتة ..

ممدوح :

ــ ليس أمامنا وسيلة أخرى .. ثم إن هذا الأخدود يشكل مانعًا طبيعيًا أمام مطاردينا .. فوق أنه يقرّب المسافة التى تفصلنا عن حدود (جوانجا) .

بدأ (ممدوح) ومعه أفراد البعثة الطبية فى عبور السلم المجدول من الحبال ، وهم يخطون عليه بحذر شديد .. وبدا المشهد من أعلى مخيفًا .. ولم تكد

المجموعة تبلغ منتصف السُلّم ، حتى سمع الجميع صوت محركات طائرات هليكوبتر تقترب ، فصاح (ممدوح) فى رفاقه طالبًا منهم الإسراع . ولكن ما هى إلا لحظات ، حتى كانت هناك طائرتا هليكوبتر تحلقان فوقهما ، وقد تأهبتا لتصويب مدافعهما نحوهم ..

شمل الذعر والارتباك أفراد الجماعة ، فأخذوا يعدُون سريعًا فوق الحبال لبلوغ الجهة الأخرى ..

وفى أثناء اندفاعهم أصيبت إحدى الممرضتين الجوانجيتين بعدد من الطلقات ، فأطلقت صرخة عالية ، وهوت متردّية من فوق الحبال ، وقد مزقها الرصاص .

وحاول (ممدوح) والدكتور (منير) تأمين باقى الأفــراد وحمايتهم ، بتصويب نيران أسلحتهمـا نحو الطائرتين لإجبارهما على الابتعاد ، ولكن الطائرتين ظلتا تدوران حولهما ، وهما تمطرانهم بوابل من الطلقات الطائشة .

كان الدكتور (عامر) ومعه الممرضة (الجوانجية)

الأخرى ، هما أول من استطاعا بلوغ الجهة الأخرى من شطرى الجبل ، ليسرعا بالانطباح أرضًا والاحتماء بالحشائش الكثيفة .

فى حين كان (ممدوح) والدكتور (منير) والسائق يجاهدون للحاق بهما ، محاولين تفادى طلقات الرصاص المنهمرة عليهم .

وفجأة أصيب الدكتور (منير) فى كتفه ، وقد تمزّق سُلّم الحبال تحت أقدامهم ، ليهوى السائق الجوانحى من هذا الارتفاع الجبلى الشاهق ، متردّيًا فوق الصخور .

أما (ممدوح) والدكتور (منير) ، فقد أمكنهما التشبث ببقايا السلم الممزق ، وشوهدا معلقين فى الهواء ، بعد أن كانا قاب قوسين أو أدنى من السقوط هالكين ..

وأخيرًا استطاع الدكتور (منير) أن يركن بجذعه إلى إحدى الصخور الناتئة فى الجبل ، وقد استماتت أصابعه



أما (ممدوح) ، والدكتور (منير) ، فقد أمكنهما التشبث ببقايا السلم الممزق ، وشوهدا معلقين فى الهـواء ..

على بندقيته فى إصرار ، برغم ما كان يكابده من آلام مبرحة فى كتفه ، ليستخدم مهارته فى الرماية ، ويصوِّب طلقة بارعة إلى خزان وقود إحدى الطائرتين التى دنت منهما ، بعد أن قدَّر طيارها أنهما قد أصبحا هدفًا سهل المنال .. وانفجر خزان الوقود ، لتنفجر معه الطائرة التى تناثرت أشلاء مبعثرة فى الجوِّ .

وجن جنون الطيار الآخر ، فهبط بطائرته إلى حيث كانا معلقين ليصبح فى مواجهتهما تمامًا ، وهو يتأهَّب لتمزيقهما برصاص مدافعه .

غير أن (ممدوح) كان قد نجح فى حشر جسده بين الحبال المجدولة ، فصار جسده فى وضع ثابت إلى حد ما .. وصارت يداه خاليتين ، ووسعه أن يحكم الإمساك بمدفعه الآلى .

ولم يكد الطيار يهم بقذف نيران مدفع الطائرة نحوهما ، حتى كان (ممدوح) قد سبقه ، وأطلق سيلًا من طلقات مدفعه إلى كابينة القيادة .

وصرخ الطيار صرخة مدوِّية ، وقد مزقه الرصاص الذى حطَّم زجاج كابينة القيادة فى الطائرة ، التى ارتطمت بصخور الجبل لتتناثر بدورها أشلاء محطمة فوق الصخور ..

وزفر (ممدوح) زفرة طويلة ، وبدأ يتخلَّص من الحبال التى تلتف حول جسده ، ويشرع فى مساعدة الدكتور (منير) فى تسلق بقايا السلم صاعدين إلى الجبل ، حيث كان الدكتور (عامر) والممرضة الجوانحية فى انتظارهما ، وقد أصبحوا هم كل من بقى من أفراد البعثة على قيد الحياة ..

* * *

٩ ــ فى الطريق إلى الحدود ..

قام الدكتور (عامر) باستخراج الرصاصة من كتف الدكتور (منير) ، وتطهير الجرح ، مستعينًا ببعض العقارات الطبية التى أحضرها معه من السيارة .

ثم استأنفت المجموعة مسيرتها ؛ لتصل بعد نصف ساعة إلى مشارف إحدى البحيرات .

ومن حسن الطالع أنهم عثروا على قارب بدائى ، كان مخفى بين الأشجار المطلة على البحيرة ، فقاموا باستخدامه فى العبور إلى الجهة الأخرى منها .

ويبدو أن متاعبهم لم تنته بعد ، فإن هى إلا لحظات حتى فوجئوا بعشرات من التماسيح الضخمة ، كانت تختفى بين الأشجار القريبة من البحيرة ، وهى تغوص فى الماء سابحة نحوهم .

اقتربت التماسيح من القارب ، وهى فاغرة أفواهها ،



لتبدو أنيابها الحادة ، ملقية الرعب فى القلوب .

صاح (ممدوح) صارخًا :

ـ لقد تنبَّهت التماسيح لوجودنا .. علينا ألّا نجعل أيًا منها يدنو من القارب بأى ثمن .

ودفع (ممدوح) بالمجدافين إلى الدكتور (عامر) ، حتى يتفرغ هو والدكتور (منير) لتصويب نيران أسلحتهما إلى التماسيح المخيفة ، للحيلولة دون اقترابها من القارب ، فيما كانت الممرضة الجوانجية ترتعد من فرط الرعب والفزع ، وعندما بلغوا الجهة الأخرى من البحيرة ، أسرعت المجموعة تقفز إلى الشاطئ ، مبتعدة عن التماسيح التى لم تتراجع عن مطاردتهم إلى الشاطئ ، برغم طلقات الرصاص المنهمرة ..

واختل توازن الممرضة الجوانجية فى أثناء هبوطها من القارب فسقطت قريبًا من الشاطئ .. وقد أسرع نحوها أحد التماسيح الضخمة ، فاغرًا فاه لافتراسها .

ولكن (ممدوح) استطاع أن ينقذها من تلك الميتة البشعة

فى اللحظة الأخيرة ، عندما صوَّب آخر ما بقى فى مدفعه من طلقات إلى رأس التمساح وعينيه ليرديه قتيلاً .

ومن جديد عادت المجموعة تستأنف مسيرتها ، بعد أن أصبحت على مقربة من الحدود الجوانجية .

* * *

فى تلك الأثناء وفى (واميبزى) عاصمة (جوانجا) ، كان الرئيس (لومبو) رئيس جمهورية (جوانجا) مجتمعًا فى مكتبه بقصر الرئاسة بـ (هيلموت ڤون) ، الذى حضر لمقابلته منذ قليل .

وكان (ڤون) يحاول أن يثنى الرئيس عن عقد اتفاقية السلام المقترحة بين (جوانجا) و (كونارى) قائلاً :

ـ سيادة الرئيس .. لا يخفى عليك أن الرئيس (شولا) رجل مخادع ، وأنه قد نقض اتفاقياته معك أكثر من مرة من قبل .

الرئيس (لومبو) :

— ولكنها هذه المرة اتفاقية سلام دائم ، وليست اتفاقية هدنة يا عزيزى (ڤون) .

هلموت ڤون :

— إن الرئيس (شولا) لا يحترم أية اتفاقيات يا سيّدى الرئيس .. إننى على يقين من أنه سينقض اتفاقيته معك هذه المرة أيضًا ، بل ربما تكون هذه الاتفاقية مجرد خدعة ، يدبِّرها لإعداد هجوم جديد على بلادكم .

وقام الرئيس (لومبو) من مكتبه ليقف أمام النافذة ، ناظرًا إلى الخارج وهو يقول :

— كم أتمنَّى أن يكون صادقًا معى هذه المرة .. فلقد أنهكتنا تلك الحروب المستمرة ، واستنزفت ميزانيتنا المحدودة ، التى أصبحت مسخرة لخدمة هذه الحرب اللعينة .. وبدلاً من خطط التنمية الطموحة التى أعددناها لرفع مستوى الشعب الجوانجى ، أصبحنا ننفق الملايين على شراء الأسلحة ، من أجل هذه الحرب

ونهض (هلموت ڤون) ليقترب من الرئيس قائلاً :

— إن هذه الأسلحة التى تشتريها الدولة ، هى التى حافظت حتى الآن على استقلال (جوانجا) وحمايتها .

الرئيس (لومبو) :

— نعم .. نعم .. ولكنها فى المقابل حمَّلتنا الكثير من الأعباء ، وأصبح شعبنا من أفقر الشعوب الإفريقية .. إننى أريد للعبة الدمار هذه أن تتوقف. .

هلموت ڤون :

— ولكن سيّدى الرئيس ....

وقاطعه الرئيس (لومبو) قائلاً :

— أحسب أنه لا جدوى من النقاش يا سيِّد (ڤون) فإننى سأوقع هذه الاتفاقية فى الأسبوع المقبل .. وآسف أن أخبرك بأننى لن أتعاقد معك على توريد كميات أخرى من الأسلحة .. ولو أن هذا لن يقلل من تقديرنا لما قدَّمته لنا من خدمات جليلة فى أثناء سنوات الحرب .. لكن آن الأوان لكى نفترض حسن النية فى الآخرين .

هلموت ڤون :

ـــ إننى أدعو معك أن تنتهى الأمور نهاية سلمية .. ولكن إذا ثبت لك فى النهاية أن حسن النية لم يكن متوافرًا فى الآخرين بنفس القدر الذى افترضته .. فإنك ستجدنى دائمًا فى خدمتك وخدمة دولتكم .

الرئيس (لومبو) :

ـــ إننى متأكد من ذلك يا عزيزى (ڤون) .

وفى أثناء ذلك تلقّى الرئيس مكالمة تليفونية من رئيس الأركان ، الذى أخبره بالعثور على أعضاء البعثة الطبية قائلاً :

ـــ سيّدى الرئيس .. لقد قبضت قواتنا على مجموعة من الأفراد الذين كانوا يحاولون عبور الحدود ، وبالتحقيق معهم تبين لنا أنهم من أفراد البعثة الطبية التى اختفت بالقرب من قرية (شادومبا) ، ومعهم أحد رجال الأمن المصريين ، الذى يطلب مقابلتك بإصرار .

الرئيس (لومبو) :

ـــ ألم يقل لك لماذا يريد مقابلتى ؟

رئيس الأركان :

ـــ إنه يرفض الإفصاح عن شىء إلا لكم شخصيًا يا سيادة الرئيس .

الرئيس :

ـــ حسنًا .. أحضره إلى مكتبى .. سأطلب من أمن الرئاسة السماح له بالدخول .

رئيس الأركان :

ـــ أمرك يا سيادة الرئيس .

ووضع الرئيس سماعة التليفون ، وهو دهش لإصرار (ممدوح) على مقابلته .

هلموت ڤون :

ـــ هل هناك شىء يا سيّدى الرئيس ؟

الرئيس (لومبو) :

ـــ لا شىء ذا بال .. إنه أحد الأشخاص يريد مقابلتى .

هلموت ڤون :

ـ إذن أتسمح لى بالانصراف ؟

الرئيس (لومبو) :

ـ لدىَّ بعض الشعور بالقلق والتوتُّر .. ما رأيك فى أن نلعب البلياردو معًا ، حتى أستعيد نشاطى ؟

ڤون :

ـ على رسلك يا سيدى الرئيس .

الرئيس :

ـ حسنًا .. سآمرهم بإعداد مائدة البلياردو .. وليأت ذلك الرجل لمقابلتى هناك .

* * *

١٠ ـ إنقاذ الرئيس ..

دخل السكرتير الخاص بالرئيس إلى صالة البلياردو فى أثناء انهماك الرئيس فى اللعب مع (هلموت ڤون) ، ليخبره بوصول (ممدوح) .

وطلب الرئيس إدخاله ، ثم مدَّ إليه يده مصافحًا ، داعيًا إياه للجلوس ، بعد أن استأذن من (ڤون) فى تأجيل اللعب .

وكان (ممدوح) فى هذا الوقت قد استردَّ اللون الطبيعى لبشرته ، لذا لم يعرفه (ڤون) عندما دخل عليهما ..

أما (ممدوح) فقد فوجئ بوجود (ڤون) مع الرئيس ، وقال محدِّثًا نفسه :

ـ إن وجود هذا الشيطان هنا يضع نهاية سريعة للأمور .

وابتدره الرئيس قائلاً :

ــ لقد أخبرونى أنك تريد مقابلتى لأمر هام .. أيمكننى أن أعرف ما هو هذا الأمر ؟

تردَّد (ممدوح) وراح ينقل نظراته إلى (ڤون) ، مما لفت انتباه الرئيس ، فقال له :

ــ تستطيع أن تتكلم أمامه فهو صديق .

ولكن (ممدوح) تجاسر ومال إلى أذن الرئيس وهمس قائلاً :

ــ إننى أشك فى ذلك يا سيادة الرئيس .

وتطلَّع إليه الرئيس بدهشة ، قائلاً :

ــ ماذا تعنى ؟

فقدَّم له (ممدوح) مجموعة الأوراق والوثائق التى معه قائلاً :

ــ هل تتفضل بالاطلاع على هذه الأوراق ؟

وبدأ الرئيس يجرى عينيه على الأوراق ، وبدأ يقطِّب جبينه ، حتى كست ملامحه أخيرًا أمارات الدهشة

والذهول .. لقد كان هذا الرجل الذى يدخل إلى بلاده ، ويحضر إلى قصره كيفما يشاء كصديق ، هو سبب كل تلك النكبات والكوارث التى عاشتها بلاده ، من جراء تلك الحرب المفتعلة ، كما هو ثابت فى تلك الأوراق التى تفضح دوره الشيطانى .

وأخيرًا .. نحى الرئيس الأوراق جانبًا ، ورفع رأسه وهو لا يكاد يصدق ، وقال :

ــ غير معقول .

قال (ممدوح) وهو لم يزل يتحدث إليه همسًا ، وعيناه مسلطتان على (ڤون) ، الذى كان مشغولاً بالتدريب على البلياردو ، داخل الصالة الداخلية :

ــ بل معقول يا سيِّدى الرئيس .. ما دام (ڤون) يكسب من وراء تلك الحرب المستعرة مكاسبه الخيالية .. ربما لا تعرف يا سيِّدى الرئيس ، أنه يقوم لدى الرئيس (شولا) بنفس الدور الذى يلعبه معكم الآن ، من ادعاء الصداقة ومساندته فى الحرب بالتعاقد

معه على كميات ضخمة من الأسلحة ..لعبة حقيرة كان يلعبها بادّعاء الصداقة بالدولتين ، فى حين أنه يرسل بمرتزقته لإشعال نيران الحرب بين الطرفين .. تلك الحرب التى هو الرابح الوحيد من ورائها .

وترك الرئيس مقعده ، متجهًا إلى الصالة الداخلية للبلياردو ، حيث كان (ڤون) واقفًا أمام مائدة اللعب ، يستعد لتحريك الكرات الصغيرة المتناثرة أمامه ، قائلاً :

ــ ما رأيك فى هذه الأوراق يا عزيزى (ڤون) ؟ وألقى بالأوراق أمامه على المائدة .

أمسك (ڤون) بالأوراق يفحصها ، وقد شعر بالكارثة.. لقد افتضح أمره فى النهاية .

ونظر إلى الرئيس ، الذى كان منتصبًا على الجهة الأخرى من المائدة ، وإلى (ممدوح) الذى كان واقفًا بمدخل الردهة ..

أسقط فى يد (ڤون) ولم يدر ماذا يفعل ..

وحينما ضغط الرئيس على زرٍّ صغير أمامه لاستدعاء رجال أمن الرئاسة .. لم يجد (ڤون) بُدًّا من أن يتصرف سريعًا ، فأخرج مسدسًا صغيرًا كان يخفيه برباط ساقه .. وقفز فى اتجاه الرئيس ، ليلف ذراعه حول عنقه شاهرًا مسدسه قريبًا من رأس الرئيس .

وفى اللحظة التى تحرّك فيها (ممدوح) ورجال الأمن ، الذين فوجئوا بما يجرى ، قال لهم (ڤون) وهو يضغط بفوّهة المسدس على رأس الرئيس :

ــ إن حياة رئيسكم تتوقّف على حكمتكم أيها السادة ، فكل ما أطلبه تجهيز سيارة ، لتقف فى انتظارى أنا والرئيس أمام المدخل الخارجى لباب القصر ، حيث تقوم بنقلى بعد ذلك إلى الطائرة التى أحضرتنى فى المطار العسكرى القريب من القصر .. إننى أعدكم بعدها أن أدعكم تهنئون برئيسكم .. فى حين أغادر أنا تلك البلاد اللعينة ، التى أعدكم أننى لن أعود إليها بعد اليوم .. والأمر متوقّف على مدى حرصكم على حياة رئيسكم .

وبدا على الرجال التردُّد والحيرة .. ولكنهم رضخوا للأمر الواقع ، وقرروا إفساح الطريق للرجل الذى كان يتحرَّك بحرص إلى الخارج ويده ملتفة حول عنق الرئيس ، واضعًا مسدسه قرب رأسه .

مال (ممدوح) على أحد رجال الأمن هامسًا :

ـــ أيوجد مصعد هنا يؤدى إلى سطح المبنى ؟

أجابه رجل الأمن :

ـــ نعم .. إنه فى نهاية الممر .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. أرجو أن تعطونى بعضًا من حرية التصرُّف .

ثم أسرع يعدُو نحو المصعد بعد انصراف (ڤون) من المكان ، حيث صعد إلى سطح القصر .

وأسرع يعدو نحو السور المطلّ على مدخل القصر ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها السيارة التى وقفت أمام باب القصر فى انتظار هبوط (ڤون) والرئيس .

ولم يكد (ڤون) يدفع الرئيس إلى داخل السيارة ، بعد أن انفتح بابها، ويهم بالدخول وراءه وهو لم يزل يصوِّب مسدسه نحوه ، حتى فوجئ بـ (ممدوح) يثب فوقه من أعلى سطح المبنى وثبة انتحارية ، ليطرحه أرضًا وهو يلوى ذراعه إلى الخلف ، بعد أن جرده من مسدسه .. وأسرع عدد من رجال الأمن نحوهما ، فيما قام عدد آخر بمساعدة الرئيس على الخروج من السيارة ، وهم يعبِّرون عن سعادتهم بنجاته .

* * *





فوجئ بـ (ممدوح) يثب فوقه من أعلى سطح المبنى وثبة انتحارية ، ليطرحه أرضًا ..

١١ ـــ بطولة وتواضع ..

عاد (ممدوح) ومعه الدكتور (عامر) والدكتور (منير) ، فى طائرة الرئيس (لومبو) الخاصة إلى مطار القاهرة ، تسبقهم أخبار الاستعدادات التى تجرى لعقد مؤتمر السلام الإفريقى بين دولتى (كونارى) و (جوانجا) بالعاصمة الإفريقية الكبرى القاهرة .

وذلك باعتبار مصر هى الدولة الرائدة فى إفريقية ، والداعية إلى السلام والتعاون بين الشعوب والحكومات الإفريقية .

وكانت هناك اتصالات سريَّة قد جرت بين الدولتين ، على أثر الوثائق والمعلومات التى قدمها (ممدوح) إلى الرئيس (لومبو) .

وتم خلال هذه الاتصالات الاتفاق على استغلال فرصة القبض على (هلموت قون) ، لإجباره على

الاتصال لاسلكيًا بقوات المرتزقة التابعين له ، ليأمرهم بتنفيذ الخطة المسبَّقة بالهجوم على الدولتين دون الالتفات لهروب البعثة الطبية المصرية ، والكف عن البحث عنها .

وعندما قامت قوات المرتزقة بتنفيذ ما أمرهم به (ڤون) فى الموعد المحدد ، فوجئوا بأعداد ضخمة من قوات الدولتين ، تطبق عليهم فى كمين محكم ، أطاح بهم ، وأجبرهم على الاستسلام .

وبذلك تم وضع نهاية محكمة لتلك الهجمات الغادرة ، التى كان يقوم بها أولئك المرتزقون من الحروب والدمار ..

وبعد عدة أيام من عودة (ممدوح) ورفاقه ، كانت القاهرة تشهد احتفالاً ضخمًا بعقد اتفاقية السلام بين دولتى (كونارى) و (جوانجا) ، بحضور رئيسى الدولتين ومعهما الرئيس المصرى .

وطلب الرئيس (لومبو) حضور المقدم

(ممدوح) ، إلى المؤتمر الصحفى الذى عقده رؤساء الدول الثلاثة ، بمناسبة توقيع الاتفاقية ، وذلك لتقديمه إلى مندوبى الصحف العالمية ، باعتباره الجندى المجهول وراء إتمام الاتفاقية .

ولكن وزير الداخلية المصرى اعتذر للرئيس، نظرًا لأن (ممدوح) هو أحد العملاء السرِّيين لإدارة العمليات الخاصة ، وعمله مستقبلاً رهن باحتفاظه بهذه السرِّية ، مما يحول دون تسليط الأضواء عليه ، وكشف شخصيته لأجهزة الإعلام ..

وقدَّر الرئيسان الإفريقيان الأسباب الموضوعية ، التى تحول دون تقديم (ممدوح) للصحافة العالمية .

ولكن ذلك لم يمنع الرئيسين من التصريح لرؤساء الصحف العالمية فى اجتماعهما معهم بأنه : « إذا كان مقدَّرًا لهذه الاتفاقية أن تعيد السلام إلى ربوع الجزء الجنوبى الغربى من القارة الإفريقية ، فإن الفضل فى ذلك يرجع إلى جهود أحد رجال الأمن المصريين ، الذى تمكن

من الكشف عن الدور الخسيس الذى كان يقوم به أحد تجار الأسلحة ، لإشعال نيران الحرب بين بلدينا ، معتمدًا فى ذلك على مجموعة من المرتزقة المأجورين الذين باعوا أنفسهم للشيطان » .

وعندما صرّح الرئيسان الإفريقيان بأنهما سيرسلان بهديتين تذكاريتين من الفن الإفريقى إلى رجل الأمن المصرى ، تقديرًا منهما لدوْره فى إعادة السلام بين الدولتين .. قال (ممدوح) للرائد (رفعت) ، الذى كان جالسًا بجواره وهما يشاهدان وقائع المؤتمر الصحفى فى التليفزيون المصرى :

— إن من يستحق كل هذا التقدير هو الدكتور (عامر) .. فلولا شجاعته وإصراره على الاحتفاظ بهذه الأوراق ، برغم كل ما تعرّض له من ضغوط ، ما قُدّر لهذه الاتفاقية السلمية أن ترى النور .. إنه فى رأيى هو الجندى المجهول الحقيقى فى هذه القضية ..

أضاف الرائد (رفعت) :

— ولكن تذكّر أنه لولاك ما وصلت هذه الأوراق ليد رئيس (جوانجا) .

ممدوح :

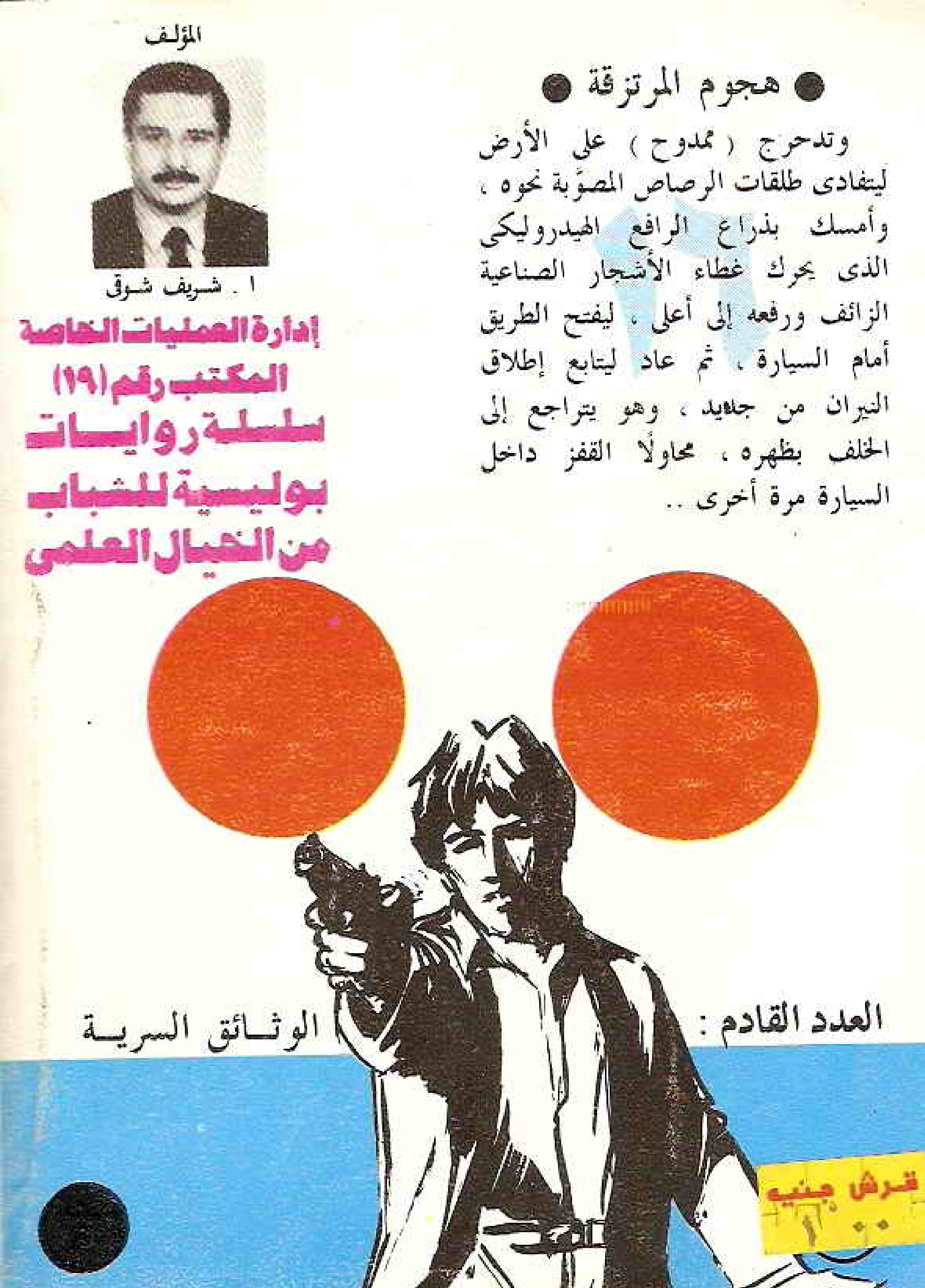
— ربما .. ولكننى ما زلت مصرًّا على أن شجاعة الدكتور (عامر) فى الحفاظ على هذه الأوراق ، كان لها الفضل الأول فى إعادة السلام بين الدولتين ، والكشف عن دور المرتزقة ، وأن هذه الشجاعة تفوق دوْرى بمراحل .

وربّت (رفعت) بيده على كتف (ممدوح) قائلاً :

— هذا ما عهدته فيك دائمًا .. تخوض الأهوال وتقوم بأعمال بطولية خارقة ، ولكنك فى النهاية تظلّ محتفظًا بفضيلة التواضع ..

إنك تمثل — بحق — تواضع رجل الأمن المصرى أصدق تمثيل .

(تمت بحمد الله)


المؤلف
ا . شريف شوق
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمي
● هجوم المرتزقة ●
وتدحرج (ممدوح) على الأرض ليتفادى طلقات الرصاص المصوَّبة نحوه ، وأمسك بذراع الرافع الهيدروليكى الذى يحرك غطاء الأشجار الصناعية الزائف ورفعه إلى أعلى ، ليفتح الطريق أمام السيارة ، ثم عاد ليتابع إطلاق النيران من جديد ، وهو يتراجع إلى الخلف بظهره ، محاولاً القفز داخل السيارة مرة أخرى ..
العدد القادم : الوثائق السرية
قرش جنيه